صفحات مطوية من حياة

فضيلة الشيخ

محمد بن صالح المقبل

«١٣٠٦ - ١٤٠٢هـ»

جمع وإعداد

د. عُمَر بن عبد الله بن محمد المُقبل

عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة
والدراسات الإسلامية - جامعة القصيم

طبع على نفقة
وقف الشيخ محمد بن صالح المقبل رحمه الله
والشيخ
سليمان بن عبد الكريم القويفلي حفظه الله

ⓒ عمر بن عبدالله بن محمد المقبل ، ١٤٣١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المقبل ، عمر بن عبدالله بن محمد
صفحات مطوية من حياة فضيلة الشيخ محمد بن صالح المقبل. / عمر بن عبدالله بن محمد المقبل .- الرياض ، ١٤٣١هـ

..ص ؛ ..سم

ردمك: ١-٦٤١٥-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- المقبل ، محمد بن صالح ، ١٣٠٦ - ١٤٠٢ هـ أ.العنوان

ديوي ٩٢٢,١١٣ ١٤٣١/٩٧٦٢

رقم الإيداع: ١٤٣١/٩٧٦٢
ردمك: ١-٦٤١٥-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

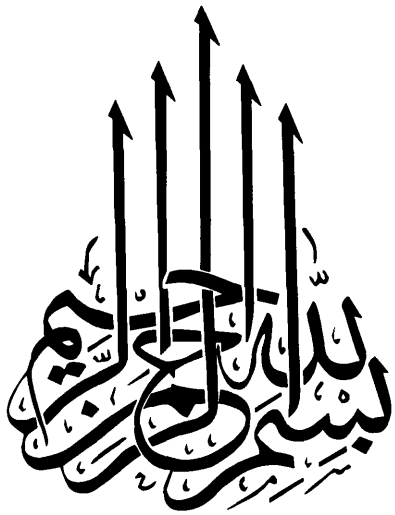
بسم الله الرحمن الرحيم

قالـــوا عـــن الشيـــخ

قالوا عن الشيخ

«معروف عندنا بالخير والصلاح، وهو من المشايخ المعروفين».

[سماحة الإمام عبدالعزيز ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ]

«نِعْم الرجل، رجلٌ صالح عابد».

[العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ]

«صاحب عقيدة، وصاحب دين، وصاحب وعظ، يدعو إلى الله بلسان حاله ولسان مقاله».

[العلامة عبدالله بن عبدالعزيز ابن عقيل حفظه الله]

«كان عالماً جليلاً ....، لم ينقطع عن التدريس في أي مكان عمل فيه ....، عاش طالبَ علم، ومات وهو يطلبُ العلم حتى لفظ أنفاسه الأخيرة».

[الشيخ المربي عثمان الصالح رَحِمَهُ اللَّهُ]

تقديم

الشيخ مقبل بن محمد المقبل

تقديم الشيخ مقبل بن محمد المقبل[1]

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين؛ نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، نكرر الحمد لمولانا الذي جعلنا من أمة محمد ﷺ، ونسأل الله تعالى أن يتوفانا على ملته، أما بعد:

فقد طلب مني ابني الدكتور عمر بن عبدالله المحمد الصالح المقبل كتابة مقدمةٍ لما جمعه مما تفرق من أخبار وقصص، ومعلومات تتعلق بوالدنا الشيخ محمد بن صالح المقبل رحمه الله؛ ويأتي هذا الطلب بعد نحو ٣٠ سنة من وفاته، وأنا في منتصف عشر الثمانين! فماذا عساي أن أكتب؟!

لقد امتنعتُ في البداية وأبيتُ؛ لأنني أُقَدِّمُ لكتاب جمعه أحد أبنائي، ويتحدث عن والدي! فشهادتي حينها قد تجرح مرتين، وليس مرةً واحدة! ولكن تقديراً لجهده الذي بذله في هذا الجمع، ونزولاً عند رغبته المقرونة بالإلحاح الشديد؛ ها أنا ذا أكتب هذه الأسطر، فأقول:

الحمد لله الذي مد في حياتي ـ التي أرجو أن تكون على زيادة أعمالٍ صالحة ـ حتى رأيتُ اثنين من أحفاد محمد بن صالح المقبل قد حملوا الدكتوراه، وهما: الابن محمد بن الأخ صالح ـ القاضي في ديوان المظالم ـ، وعمر بن الأخ عبدالله ـ الأستاذ المساعد في كلية الشريعة بجامعة القصيم ـ، وقد رأياني حينما بكيت فرحاً ـ والفرح يبكي أحياناً ـ عندما انتهت مناقشتهما

(١) وهو أول وأكبر أولاد الجد الذكور رحمه الله.

لرسالتيهما في ذلك الصرح التعليمي الشامخ: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وهما يدركان ـ وفقهما الله ـ أن الشهادة وحدها لا تكفي؛ ما لم يصحبها نيةٌ صالحة، وتوفيقٌ من الله، وبذلٌ لما تعلماه.

أعود إلى ما كنت بصدده؛ فأقول: لا يخلو زمان من رجال تخلّد أسماؤهم في سجلات التأريخ، وتسطع ذكراهم في سماء السمو، كلٌ بحسبه: علماء، أدباء، شعراء، عُبّاد، مؤرخون، مربون.

وشهادتي في والدي ـ كما ذكرتُ آنفاً ـ قد تجرح، لكنّي أقولها للتاريخ، وعن كثب وصحبة امتدت قرابة أربعين عاماً معه رَحِمَهُ اللَّهُ.

لقد عرفتُ فيه حرصه على طلب العلم وتعليمه، ورأيت من الحرص الشديد على برِّ والديه، كان عابداً، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، مؤتمراً بالمعروف، منتهياً عن المنكر.

جدّ في طلب العلم بعد أن بلغ عمره قرابة الثلاثين عاماً ـ وإن كان سبق ذلك تعلّمٌ للقراءة والكتابة على طريق أقرانه في ذلك الزمن ـ؛ فسافر من أجل ذلك ـ كما ستراه في ثنايا الكتاب ـ ماشياً على قدميه، كان كثيرَ الصلاة، كثيرَ الصيام، لم يكن له مؤلفات تُذكر.

كان لا يحب تعبير الرؤيا، صدّاعاً بالحق، اكتفى من دنياه بما حصل عليه، لا يأبه بما في أيدي الآخرين، ولا يتطلع إليه، قنع فعاش حميداً، يهمه أمر صلاح الولاة، يدعو لهم في تهجده، ويحب الصلح بين الناس؛ فلقد

بقي في قضاء عقلة ابن جبرين خمسة عشر عاماً! لم يصدر عشرة أحكام ملزمة؛ لأنه يحب إنهاء الخصومة بالإصلاح ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، يصلح بين الأسرة، وبين الزوجة وزوجها، يقسم المواريث، يعلم الكبار والصغار، يحنو على الفقير قَدْرَ استطاعته، والبلدة كانت صغيرة، وسكانها فقراء فقراء فقراء! أسأل الله أن يعوضهم ـ على صبرهم ـ بـ : ﴿ جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥].

ماذا أقول؟! وكيف أقول؟! ولكنني أتطلع إلى أن يجمعنا الله ووالدينا، وأجدادنا من قبل، وآبائنا، وأمهاتنا، وإخواننا، وأخواتنا، وزوجاتنا، وأقاربنا، وأرحامنا، وأحبابنا، وجيراننا؛ في الجنة التي ليس فيها كدر ولا وصب، وآمل من قرأ هذا أن يقول: آمين، ويصلي على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وكتبه

مقبل بن محمد الصالح المقبل

مساء الجمعة ٢١/ ذي القعدة/ ١٤٣١هـ

من مزرعته باللسيب جنوب مدينة بريدة

المقدمة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن علم التراجم من العلوم التي تفنن أهل العلم في الكتابة فيها على طرائق شتى:

فمنهم من يفرد أهلَ علمٍ معين بتراجم خاصة[1]، أو مذهب معين[2]، أو بلدٍ ما[3].

ومنهم من يفرد علَماً من الأعلام بترجمة مستقلة، وهذا كثيرٌ جداً[4]، بل لعله الأكثر في هذا الباب.

وإذا كان من حق العلماء والمصلحين، والمؤثرين في أمتهم على من يأتي بعدهم: أن يحفظوا جهودهم، وينوهوا بها؛ ليستفيد منها من يأتي بعدهم، فكيف إذا كان الذي سيجمع هذه الترجمة أو تلك ابناً أو حفيداً من أحفاد المترجم له؟!

---

(١) كالكتب المؤلفة في طبقات المفسرين، أو المحدثين، ونحوها.

(٢) ككتاب: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى، وذيلها للحافظ ابن رجب، وطبقات الشافعية للسبكي، وابن كثير.

(٣) ككتاب أبي الشيخ: طبقات المحدثين بأصفهان.

(٤) كالكتب المؤلفة في تراجم الخلفاء الراشدين، والأئمة الأربعة، وابن تيمية وغيرهم، رضي الله عنهم ورحمهم أجمعين.

لا أفشي سراً حين أقول: إن من يريد أن يكتب عن والده أو جدّه يجد حرجاً كبيراً؛ لاعتبارات لا تخفى على الإنسان، لكن المنصف ـ إذا قلّب الأمر ـ سيجد أنه بين أمرين:

الأول: أن تهمل تلك الترجمة، ويكتفى بما يعلق في الأذهان من أخبارٍ ستموت، أو تضعف بموت من شاهدوها أو نقلوها! وهذا ليس من البر والوفاء في شيء، في حق هؤلاء الأعلام.

الثاني: أن تكتب الترجمة، وههنا فإن المعوّل عليه؛ أن يكون الباحث أو كاتب الترجمة: عارفاً أو مطلعاً على أخبار المترجم له وأحواله؛ لتكون الكتابة دقيقة، ومحررة قدر الطاقة، سواءٌ كان من أهل بيته أم من غيرهم، وإن كان أهل البيت أقرب الناس إلى المترجم له، وأكثرهم معرفةً به.

وهاهي ثلاثون سنة تمضي على وفاة فضيلة الجدّ/ الشيخ محمد بن صالح المقبل رَحِمَهُ اللَّهُ (ت:١٤٠٢هـ)، ولم يكتب عنه ما يجيب عن أسئلة كثيرة يطرحها محبوه، وزوّارُ أبنائه وأصدقاؤهم، أو روّاد مكتبته الملحقة بمباني جامعه في حي الصفراء بمحافظة المذنب!

ولعل أوّل هذه الأسئلة: هل كُتب عن الشيخ ترجمة؟! فيرجع البصر خاسئاً وهو حسير!

إذْ لم يكتب عنه سوى نتف يسيرة لا تتجاوز بضع صفحات!

ومع قلة هذه الصفحات التي كتبت عنه؛ إلا أنه وقع فيها بعض الأوهام والنقص البيّن فيما كتب عنه؛ حتّمت على أهل بيته من الأبناء

والأحفاد أن يقوموا بهذا الواجب؛ إذ صاحب الدار أدرى بما فيه ـ كما يقال ـ ولو تركتْ هذه الأوهام فستزداد مع الزمن، أو ترسخ كما هو معلوم.

إنني ـ وأنا أجمع هذه الترجمة ـ أدرك جيداً أن والدي وأعمامي جميعاً ـ حفظهم الله ـ أولى بالكتابة مني؛ فهم الذين تفتحت أعينهم على رؤيته، وتفتقت ألسنتهم على يديه، وعاصروه، وأقاموا معه وضعنوا، على اختلاف مددهم في ذلك، ولكن حسبك أن أصغرهم حين مات كان عمره سبعةً وعشرين عاما!

لكنْ: ضيقُ الوقت، وكثرةُ المشاغل، وربما الحرج الذي يلحق الإنسان حينما يتحدث عن والده؛ **كلُّ ذلك وغيره** كانت أسباباً حالت دون تحقيق هذه الأمنية.

وتساءلنا نحن ـ أبناءه وأحفاده ـ : هل الحل هو إهمال ترجمته مع وجود ما قد يفيد في تجربته، التي امتدت نحو قرن من الزمان؟ وهل يصح إهمال هذا الإلحاح المتتابع من أمراء وعلماء ووجهاء ومحبين؛ على كتابة ترجمة تعرّف به، وتكشف شيئاً من أخباره؟

أم الحل ـ وإن كان فيه مشقة على نفس الكاتب ـ أن تكتب الترجمة بواسطة أبنائه أو أحفاده؟ أسوةً بما صنعه بعض العلماء في الترجمة لأهل العلم من آبائهم؟ مع البعد عن الغلو والإطراء الذي لا رصيد له؟

لقد كان الخيار الثاني هو المتعين؛ لأسباب كثيرة لا تخفى، لو لم يكن منها إلا أنه: برٌّ به رَحِمَهُ اللَّهُ ، ورجاء أن تنفعه كلمة: (رحمه الله، وغفر له) عندما

تُقرأ أخباره هذه من أبنائه وأحفاده ومحبيه، ومَنْ شاء الله من عباده.

لقد وجدنا في صنيع بعض أكابر أهل العلم؛ سلوةً في هذا الأمر.

فهذا ابن أبي يعلى (ت: ٥٢٦) رحمه الله ـ صاحب كتاب طبقات الحنابلة ـ حينما ترجم لوالده ترجمة ضافية؛ أسبغ فيها على والده عبارات قد يستكثرها من لم يعرف المترجِم والمترجَم له[1]! لكنه الوفاءُ والبرُّ، وهل كان الناس سيطلعون على دقائق أخبار أبي يعلى ـ وبتلك التفاصيل ـ لو لم يكتبها أعلم الناس به، وهو ابنه ـ رحمهم الله جميعاً ـ؟.

ومن الموافقات العجيبة: أن هذا الشعور الذي أكتبه ههنا، كتبتُه قبل أن أطلع على كلام أبي يعلى أو غيره من العلماء! بل كان شيئاً يتردد في الصدر، ثم وقفتُ بعدُ على كلام ابنِ أبي يعلى رحمه الله ، وهو يعتذر فيه عن الكتابة عن والده الإمام الفقيه أَبي يعلى محمد بن الحسين الفراء (ت: ٤٥٨)، فتأمل ماذا يقول عن والده:

«كان عالمَ زمانه، وفريدَ عصره، ونسيجَ وحده، وقريعَ دهره، وكان له في الأصول والفروع القدم العالي، وفي شرف الدين والدنيا المحل السامي، وأصحاب الإمام أحمد رضي الله عنه له يتبعون، ولتصانيفه يَدْرسون ويُدرّسون، وبقوله يفتون، وعليه يعولون، والفقهاء على اختلاف مذاهبهم وأصولهم كانوا عنده يجتمعون، ولمقاله يسمعون ويطيعون، وبه ينتفعون،

(١) مع حفظ مقام أولئك الأعلام؛ فليس المقام مقام مقارنة بين كاتب هذه الأسطر عن جده وبين ابن أبي يعلى ووالده، بل المقصود: القياس على العناية بالترجمة للآباء والأجداد إذا كانوا من أهل العلم.

وبالاهتمام به يقتدون، وقد شوهد له من الحال ما يغني عن المقال، ....

ثم قال في آخر الترجمة ـ بعد عشرات الصفحات ـ:

«ولعل ناظراً في هذا الذي أوردناه وسطرناه يقول: كيف استجاز مدح والده على لسانه وهو الأصل؟ ومدح الأصل مدح للفرع؟!» ، ثم أسهب في ذكر عذره، فليراجعه من أحب[1].

ومن طالع في ترجمة السبكي ـ صاحب طبقات الشافعية ـ لوالده تقي الدين السبكي؛ فسيصف ابن أبي يعلى بأنه مقصر!

فانظر ماذا قال عن والده في طليعة ترجمته من «الطبقات»، أذكر منها بعض العبارات:

«الشيخ، الإمـام، الفقيه، المحدث، الحافظ، المفسر، المقرئ، الأصولي، المتكلم، النحوي، اللغوي، الأديب، الحكيم، المنطقي، الجدلي، الخلافي، النظار، شيخ الإسلام، قاضي القضاة، تقي الدين، أبو الحسن، شافعي الزمان، وحجة الإسلام، والمرجع إذا حدثت مشكلة وغابت عن العيان.

عُبَاب لا تكدره الدلاء، وسحاب تتقاصر عنه الأنواء، وبابٌ للعلم في عصره، وكيف لا وهو عَلِيٌّ الذي تمت به النعماء!

وكان من الورع والدين، وسلوك سبيل الأقدمين على سنن ويقين: إن الله مع المتقين.

---

(١) طبقات الحنابلة (٣/ ٣٦١ - ٤٢٦).

صادع بالحق لا يخاف لومة لائم، صادق في النية لا يخشي بطشة ظالم، صابر وإن ازدحمت الضراغم، منوط به أمر المشكلات في دياجيها، محطوط عن قدره السماء ودراريها، مبسوطٌ قلمه ولسانه في الأمة وفتاويها، شيخ الوقف حالاً وعلماً، وإمام التحقيق حقيقة ورسماً، وعلم الأعلام فعلاً واسماً.

لا يرى الدنيا إلا هباء منثوراً، ولا يدري كيف يجلب الدرهم فرحا والدينارَ سرورا، ولا ينفك يتلو القرآن قائماً وقاعداً، راكباً وماشياً، ولو كان مريضاً معذوراً.

وكانت دعواته تخترق السبع الطباق، وتفترق بركاتها فتملأ الآفاق، وتسترق خبر السماء!

وكانت يداه بالكرم مبسوطتين، لا يقاس إلا بحاتم !

يواظب على القرآن سراً وجهراً، لا يقرن ختام ختمة إلا بالشروع في أخرى، ولا يفتتح بعد الفاتحة إلا سورة تترى، مع تقشف لا يرتدي معه غير ثوب العفاف، ولا يتطلع إلى ما فوق مقدار الكفاف، ولا يتنوع إلا في أصناف هذه الأوصاف.

يقطع الليل تسبيحاً وقرآنا، وقياماً لله لا يفارقه أحيانا، وبكاء يفيض من خشية الله ألواناً.

أقسم بالله إنه لفوق ما وصفته! وإني لناطق بها، وغالب ظني أني ما أنصفته، **وإن الغبي سيظن فيَّ أَمْراً ما تصورته!** وما زال في علم يرفعه،

وتصنيف يضعه، وشتات تحقيق يجمعه، إلى أن سار إلى دار القرار، وما ساد أحد ناواه، ولا كان ذا استبصار، ولا ساء من والاه، بل عمه الفضل المدرار، ولا ساغ بسوى طريقة الاهتداء والاعتبار، ولا ساح بغير ناديه نيل يخجل وابل الأمطار، ولا ساخ قدم فتى قام بنصرته، وقال: أنصر بقية الأنصار، ولا سال إلا ويداه مبسوطتان وابلَ كرمٍ في هذه الديار، ولا سامه أحد بسوء إلا وكانت عليه دائرة الفلك الدوار، ولا ساقه الله حين قبضه إلا إلى جنة عدن أعدت لأمثاله من المتقين الأبرار»[1].

فانظر إلى هذا المدح العظيم من ابن في أبيه! ولستُ بصدد تحليل هذا الكلام، وبيان ما فيه من مبالغة مفرطة في بعض المواضع، بل وجزمٍ في غير محله كآخر كلمة منه؛ وإنما أردتُ بهذا أن نتبيّن أن النفوس تنفر عن الغلو الذي يجانب الإنصاف والعدل، وتكره الجفاء وقلة الوفاء، وتحب التوسط؛ فهو العدل الذي يحبّه الله.

أما إذا أردتَ أن تقلب في تراجم العلماء الذي ترجموا لأنفسهم ـ وهو ما يعرف بالتراجم الذاتية ـ فذاك بحر لا ساحل له، والتمثيل بهم ـ في مقامنا هذا ـ أبلغ وأوضح[2].

وبعد: فلا يسعني في خاتمة هذه المقدمة إلا أن أشكر جميع من أفادني بكلمة أو قصة أو معلومة في هذه الترجمة، وأخص بالذكر: سيدي الوالد،

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي ١٠/ ١٣٩.

(٢) ينظر: كتاب العلامة بكر بن عبدالله أبو زيد رحمه الله: "التراجم الذاتية" ضمن مجموعه العلمي القيم: (النظائر).

والأعمام الكرام ـ أبناء الجدّ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ : مقبل، وحسن، وصالح، وسليمان، وعلي ـ حفظهم الله، وأصلح لهم نياتهم وذرياتهم ـ فهم ـ بما أفادوه وكتبوه إليّ ـ المؤلفون الحقيقيون لهذه الترجمة، فما أنا إلا جامع، ومنسق، ومجتهد في صياغة ما وقع لي من أخبار تفرقتْ هنا وهناك.

كما أشكر كل مَن أفادني بأي معلومة أو قصة أو ملاحظة ، وبعضهم الآن تحت أطباق الثرى ـ رحمة الله عليهم أجمعين ـ وأخص بالذكر:

* شيخنا الفقيه عبدالله بن عبدالعزيز ابن عقيل حفظه الله وشفاه[1].
* محمد بن صالح الشبل رَحِمَهُ اللَّهُ .
* محمد بن إبراهيم الوهيد حفظه الله.
* سليمان بن إبراهيم الشايع رَحِمَهُ اللَّهُ.
* غربي بن نحيطر الشمري رَحِمَهُ اللَّهُ (من أهل العقلة).
* جارد الشريهي الشمري حفظه الله (من أهل العقلة).
* فضيلة الشيخ ناصر بن إبراهيم السكران حفظه الله.
* أ.عبدالرحمن بن عبدالله الغنايم حفظه الله.
* أ.إبراهيم بن صالح العبودي (العبدان) حفظه الله.
* كما أشكر أخي وصديقي الشيخ الباحث/ حسان بن إبراهيم الرديعان ـ وهو من فضلاء إخواننا من طلاب العلم في مدينة حائل ـ فله الدور الأكبر ـ بعد الله ـ في تذليل مهمة وصولي إلى عقلة ابن جبرين ولقاءِ من أدركتُ من كبار السن الذين عاصروا الجدّ رَحِمَهُ اللَّهُ إبان قضائه في «العقلة».

---

(١) كان مرافقاً لعمه الشيخ عبدالرحمن حين بعث مع القضاة والأئمة إلى الجنوب، وسيأتي ذكرُ شيء من أخباره مع الجد، عند الكلام على المراسلات الشخصية.

هذا ما تيسر جمعه في هذه الترجمة، والتي يدرك من جَمَعَ في أمثالها الجهدَ الذي يبذله الباحث، وما يعتريه من صعوبات، أعان الله عليها، **مع يقيني** بوجود الخلل والنقص؛ فهذه طبيعة الجهد البشري، **لكنني موقنٌ** بأن إخراجها مع وجود بعض النقص والملاحظات؛ خيرٌ من بقائها في صدور الرجال، **ومؤملٌ ـ أيضاً ـ** بكل من يطلع على هذه الترجمة أن لا يحرم جامعها من تسديد، أو تقويم، أو إضافة تستدرك ـ بإذن الله ـ في طبعات لاحقة.

فرحم الله عبداً: شكر ودعا إن رأى إحساناً، وستر وغفر، وأحسن الظن إن رأى غير ذلك، وما توفيقي إلا بالله؛ عليه توكلتُ وإليه أنيب.

اللهم اغفر لعبدك محمد بن صالح المقبل، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره، ونور له فيه، واجمعنا به في الفردوس الأعلى في جنات النعيم.

اللهم أصلح له ذريته، وبارك فيهم، واجعلهم خير خلف لخير سلف، وأعزنا بطاعتك، ولا تذلنا بمعصيتك. والحمد لله رب العالمين.

وكتبه

د. عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ المُقْبِلُ

في ١٨/ ١١/ ١٤٣١ هـ

للتواصل: القصيم ـ المذنب ـ ص.ب ١٦ الرمز ٥١٣٩١

E-mail: omar1427@gmail.com

جوال: ٠٥٥ ٥١٥ ٤٤ ٩١

لمحة موجزة عن الحالة السياسية والاجتماعية التي ولد فيها المترجم له

لمحة موجزة عن الحالة السياسية والاجتماعية التي ولد فيها المترجم له

دأب المترجمون على ذكر هذا الموضوع في التراجم؛ لأن الإنسان ابن بيئته ـ كما يقال ـ ويتأثر بما حوله من متغيرات ـ سياسية واقتصادية واجتماعية ـ.

ولما كانت المتغيرات السياسية والاجتماعية هي المؤثر الأغلب، فإني سأشير إليهما على وجه الاقتضاب؛ إذ التفصيل ليس هذا موضعه.

وبنظرة مجملة على الأحوال التي وُلِدَ فيها الجد رَحِمَهُ اللَّهُ نلاحظ ما يلي:

أولاً: الأحوال السياسية:

ولد الجد عام ١٣٠٦هـ أي: قبل سقوط الدولة السعودية الثانية بثلاث سنوات، إذ كان سقوطها ـ كما هو معلوم ـ عام ١٣٠٩هـ.

ولا يخفى أن ظروف سقوط الدولة السعودية الثانية ـ والتي امتدت نحواً من ٦٩ سنة ـ كانت صعبةً، وآثارها على الناس كانت مقلقة، والذي كان من أهم أسبابه: النزاع الذي كان بين أبناء الإمام الإمام فيصل بن تركي، بالإضافة إلى عوامل عديدة.

لكن المهم ذِكْرُه ههنا، هو خوف الناس من بقائهم بين أمرين أحلاهما مر: أن يتسلط إمام ظالمٌ، أو يبقوا بلا إمام! «**وقد قيل: ستون سنة بإمام ظالم: خير من ليلة واحدة بلا إمام**»[1]، وقيل ـ أيضاً ـ: «**الحكومة الجائرة خير من الفوضى**».

(١) فتاوى ابن تيمية (١٤ / ٢٦٨).

في ظل هذه الظروف الصعبة ـ على نجد وأهلها بالذات ـ ولد المترجم له رحمه الله.

لكن هذا القلق من الجانب السياسي، والذي يتبعه بالضرورة: قلق أمني، وقلق اقتصادي، كلُّ هذا لم يستمر طويلاً حتى قيّض لهذه البلاد الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل بن تركي آل سعود، حيث ابتدأت رحلة توحيد المملكة على يديه من دخوله الرياض ـ في شوال عام ١٣١٩هـ ـ، ثم امتدّ هذا الكيان إلى أن استوى على سوقه بعد ذلك، في مملكة مترامية الأطراف، واسعة الديار، مختلفة القبائل والأعراق، فجمع الله به الناس بعد فرقة، وأمّنهم بعد خوف، ونشر الله على يديه من سلطان الشرع ما لم ينتشر قبله بمدة ليست بالقصيرة؛ فرحمه الله وجزاه عمّا قدم خير الجزاء.

والملاحظ أن دخول الملك عبدالعزيز رحمه الله للرياض؛ كان والمترجم له عمره ثلاثة عشر عاماً.

وهذا يعني أنه استقبل **بدايات الاستقرار** ـ في منطقة نجد بالذات ـ، ومن ثم في باقي ربوع البلاد، والتي صار ـ بعد ذلك ـ أحد قضاة أهم مناطقها الحساسة، من الناحية الأمنية والسياسية ـ كما سيأتي بعد ذلك إن شاء الله ـ.

ثانيا: الأحوال الاجتماعية:

البيئة الاجتماعية التي ينشأ فيها الإنسان لها أثر كبير عليه، وهكذا كان شأنها في حق المترجم له رحمه الله، وألخص هذا فيما يلي:

* أنه نشأ في أسرة متدينة، كما سيأتي تفصيله في الكلام على نشأته.

* كانت أسرته ذات حالة اقتصادية لا بأس بها، مقارنة بمن حولها.

* البيئة العلمية مشجعة، فعالم بلده ـ بل من أكبر علماء القصيم في وقته ـ من أهل المذنب، وهو الشيخ الفقيه عبدالله ابن دخيل رحمه الله موجود وحاضر بنشاطه العلمي البارز، والذي جعله رُحلةً ومقصداً لطلاب العلم من بلدان شتى.

* كان أبوه أحد وجهاء المذنب في وقته، وعمّه الشيخ علي من كبار طلاب العلم، ومحل ثقة الشيخ ابن دخيل؛ إذْ كان يُسْند إليه بعض المهام العلمية إذا غاب، وعمّه الآخر ـ حسن ـ كان من أهل الفروسية والشجاعة والقتال، وسيأتي مزيد بسط لهذه الجزئية في الكلام على نشأته إن شاء الله.

اسمه ونسبه
ولادته ونشأته

اسمه، ونسبه، ولادته، نشأته

*** اسمه ونسبه:**

هو محمد بن صالح بن مقبل بن حسن بن محمد آل قويفل، من الفداغمة[1]، من بني العنبر من آل عمرو بن تميم، الذي تنتسب له القبيلة العربية العدنانية الشهيرة.

وقد نزحت أسرته الكبيرة **آل قويفل**، منذ ثلاثمائة سنة من منطقة سدير واستوطنت المذنب[2]، كما هو حال عدد غير قليل من أسر بني تميم، وكما ذكر ذلك بعض الأعمام، والذين كتبوا في نسب تميم من المعاصرين[3].

*** ولادته:**

ولد رَحِمَهُ اللَّهُ في عام ١٣٠٦هـ، كما حدّث بذلك الجد نفسه عن والديه ـ رحمهم الله جميعاً ـ، وقد نصّت والدته [4] ـ رحمها الله ـ على أن مولده كان

---

(١) وأصل كلمة فَدْغَم في اللغة ـ كما يقول ابن منظور في لسان العرب ١٢/ ٤٥١ ـ : «الفَدْغم، بالغين معجمة: اللَّحِيم الجسيم الطويل في عِظَم ،من الرجال، قال ذو الرمة: إلى كل مشبوح الذراعين تُتْقى ** به الحرب شعشاع وأبيض فدغم!».

(٢) كتب الأستاذ عبدالرحمن الغنايم ـ أثابه الله ـ كتاباً فصّل فيه الكلام على محافظة المذنب، وقد نشرته الرئاسة العامة لرعاية الشباب ، ثم نشر في طبعة قشيبة عن دار عبدالعزيز العقيلي الثقافية .

(٣) ينظر كتاب القاضي: منهاج الطلب : (٣٨).

(٤) وهي حصة بنت عثمان الشبل رحمها الله تعالى.

قبل وقعة المليداء المشهورة[1]. ولم أهتد إلى تحديد الشهر واليوم.

*** نشأته:**

نشأ الجد رحمه الله في بيئة صالحة، محافظة، فقد نشأ في كنف والده الوجيه صالح، وقريباً من أعمامه علي وحسن ـ رحمهم الله تعالى ـ.

أما والده صالح: فهو عَلَمٌ من أعلام المذنب في وقته، وأحد وجهائه المعروفين، وكان رئيس النواب[2]، ويشاركه في القيام بهذه المهمة بعض إخوانه المحتسبين، مثل: سليمان بن ناصر الجارالله رحمه الله ـ في القيام بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان ذلك في وقت ولاية آل الرشيد على حائل ونجد.

كما له اهتمام برد المظالم إلى أهلها، بمشاركة من عبدالكريم النقيثان رحمه الله ؛ لما جبلهما الله عليه من الهيبة والقوة في نصرة المظلوم.

وأما عمه الشيخ علي رحمه الله: فقد كان يسكن هو وأخوه صالح ـ رحمهما الله ـ في بيتٍ واحد، وقد كان عليٌّ رحمه الله عَلماً من أعلام طلبة العلم، وكان يخلف شيخه العالم المشهور الشيخ عبدالله ابن دخيل[3] إذا غاب في

(١) وهي موقعة جرت بين محمد ابن رشيد وبين أهل القصيم في ١٣/ ٦/ ١٣٠٨هـ (أي في أواخر الدولة السعودية الثانية): كان أهل بريدة بقيادة حسن ابن مهنا، وأهل عنيزة بقيادة زامل السليم، وأهل المذنب بقيادة صالح الخريدلي، وكان النصر فيها لمحمد ابن رشيد، وقتل من أهل القصيم كثيرون، ومع الأسف أنه نتيجة نعرات وخلافات بين فريقين مسلمين.

(٢) أي: رئيس ما عرف بعد ذلك بهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٣) ستأتي ترجمته عند ذكر شيوخه.

إمامة الناس، والفتيا، والتدريس.

وأما عمه حسن رحمه الله: فقد كان شجاعًا مقدامًا، قُتِلَ في وقعة البكيرية مع جيش ابن سعود في مواجهة ابن رشيد والأتراك.

وكان لهذه البيئة أثرها في توجهه لطلب العلم منذ الصغر، والسعي في الكسب الحلال، وقوة الشخصية والشجاعة.

«وكان الجد صالح رحمه الله قوي الشكيمة، مهاباً حتى عند والي ابن رشيد على المذنب! وكان يقوم بأعمال الفلاحة التي هي مصدر الرزق الوحيد ـ بعد الله ـ، وما يحصل فيها من (حب حنطة) في زراعة الشتاء، والتمور التي تحصل في الصيف، وكان العم الشيخ علي متفرغاً لضيافة من يأتي إلى المذنب من طلبة العلم، الذين يدرسون على الشيخ الفقيه عبدالله ابن دخيل رحمه الله، ومن يمر بالمذنب ذاهبًا وعائدًا إلى الرياض، وكان ذلك قبل دخول الملك عبدالعزيز للمملكة، وتوحيدها على يديه رحمه الله»[1].

*** طلبه للعلم:**

قد قيل قديماً: من كانت له بداية محرقة، كانت له نهاية مشرقة.

لم تكن الخطوات الأولى في طلب العلم بالنسبة للجد رحمه الله لتبدأ سهلةً؛ فهو وحيد والده من الذكور، وكان السعي في طلب الرزق ـ لمن كان في مثل حاله ـ من أهم ما يؤمله الآباء في أبنائهم، بل كان كثيرٌ من أبناء جيله ـ ومن هم في مثل ظرفه خصوصاً ـ لا يكادون يفكرون في

(١) من إفادات العم مقبل وفقه الله.

طلب العلم؛ لانشغالهم الشديد في طلب الرزق؛ لذا فإن على من عزم على طلب العلم أن يبذل جهداً مضاعفاً، بحيث لا يؤثر طلبه للعلم على طلبه للرزق؛ نظراً لضيق الفرص ، وشح المصادر.

وقد كان من حال الجد رحمه الله منذ صغره: العمل مع والده وعمه في الفلاحة، من الصباح إلى غروب الشمس، فيرجع وهو متعب إلى المسجد قبل أن يعود إلى البيت؛ فيجلس في المسجد ليحفظ القرآن، وربما ترك العَشَاء! فإن كان الحاضرون للعشاء كثيرين جلس بدون عشاء! وإن قلّوا فحظه تلك الليلة من الفضلة ـ مما يتبقى من عشاء المجموعة ـ وهذا دأبه في شبابه، **شدة في العمل، وشدة في طلب العلم**، حتى إنه حفظ القرآن في ظروف شديدة، ومعاناة من الجوع والتعب، نرجو أنه ذاق لذتها في الدنيا قبل الآخرة، في تلك الليالي التي وقفها بين يدي مولاه في ظلمةٍ يصلي الساعات المتتابعة في ركعاتٍ طويلة، وما نؤمله من فضل الله له أكثر وأعظم، ولا نزكي على الله أحداً.

وفيما يتعلق ببداياته المبكرة في **طلب العلم**؛ فقد كانت في حلقة الشيخ عبدالله ابن دخيل، وحلقة ابنه محمد ـ رحمهما الله ـ حيث تعلم القراءة والكتابة والحساب، وبقي ملازماً لحلقة شيخه ابن دخيل حتى توفي شيخه رحمه الله سنة (١٣٢٤هـ)[1].

بقي رحمه الله بعد وفاة شيخه يبحث عن مصادر أخرى ينهل منها من العلم، وكان تفكيره منسجماً مع ظروفه وظروف أهله، الذين كانوا

(١) فيكون عمر الجد رحمه الله حين وفاة شيخه عبدالله ابن دخيل ١٨ سنة .

يعملون في الزراعة، خصوصاً أنه كان وحيد أبيه ـ كما سبق ـ، فيمم وجه شطر بلدة **فريثان**[1]؛ ليطلب العلم على الشيخ عبدالرحمن ابن سالم[2].

ولم يمكث طويلاً ـ كما كان متوقعاً ـ إذْ جاءَه خطابٌ من والده يستحثه على الرجوع إلى المذنب ـ ويبدو أن ذلك لحاجتهم إليه؛ ليعاونهم على بدء الزرع أو حصاده ـ فرجع إلى المذنب بالفعل، وبقي هناك مدة من الزمن، بعد أن أنهكته أعمال الفلاحة ـ التي هي مصدر القوت والرزق في ذلك الوقت ـ وكان فلاحًا ومحتطبًا وكالئًا للكلأ، معروفاً بتميزه في هذه الأمور من بين أقرانه.

وفي مستهل عام ١٣٣٦هـ توجه إلى بريدة؛ ليطلب العلم على الشيخين الجليلين: (عبدالله، وعمر) ابنا محمد ابن سليم، واستمر ذلك إلى عام ١٣٣٩هـ[3].

وفي هذه السنة ١٣٣٩هـ تقريباً؛ تحركت به الأشواق مرةً أخرى إلى طلب العلم، ولسانه حاله يتمثل قول الطغرائي في لاميته المشهورة:

أُطلب العلمَ ولا تكسلْ فما *** أبعد الخير على أهل الكسل!
واهجر النومَ وحصّله فمن *** يعرف المطلوب؛ يحقرْ ما بذل!

---

(١) وهي قرية من أعمال المجمعة، وهي معروفة، ولكنها الآن مهجورة، واختلفت كلمات بعض الباحثين في أول من عمرها؟ كما اختلفوا متى بنيت؟ فقيل: بُنِيتْ عام ١٣٢٩هـ، وقيل: عام ١٣٣٤هـ، والله أعلم.

(٢) ستأتي ترجمته عند ذكر شيوخه.

(٣) ستأتي ترجمتها عند ذكر شيوخه.

فأُشير عليه أن يتوجه للرياض، وبالفعل شد رحاله، فسار ـ ولكن على أقدامه ـ مع جماعة عددهم سبعة رجال ـ رحمة الله عليهم أجمعين ـ كما حدث بذلك رَحِمَهُ اللَّهُ ، منهم:

الشيخ عبدالله بن إبراهيم العجيمي رَحِمَهُ اللَّهُ[1]، والشيخ سليمان بن علي الحسياني رَحِمَهُ اللَّهُ[2]، ومعهم بعير لأحدهم، ويدعى ابن دامغ[3] من عنيزة، هذا البعير يحمل قربة ماء مع قليل من التمر أو الطحين.

فلما سافر إلى الرياض جلس في حلقة الشيخ عبدالرحمن بن جريس رَحِمَهُ اللَّهُ.

ومن أكبر العلماء الذين قصدهم في ذلك الوقت ـ عالم نجد ومرجعها في زمانه ـ: الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ[4] (ت: ١٣٣٩هـ)، فبقي هناك إلى حدود سنة ١٣٤١هـ أو ١٣٤٢هـ تقريباً، أي أنه بقي نحواً من سنتين في طلب العلم في الرياض.

ولقد حفظتْ ذاكرةُ الجد رَحِمَهُ اللَّهُ ذكرياتٍ جميلة عن تلك الرحلة؛ حيث يقول ملخصاً لحظات وصولهم إلى الرياض التي لا تنسى[5]:

---

(١) ستأتي ترجمته عند ذكر زملائه.

(٢) ستأتي ترجمته عند ذكر زملائه.

(٣) يقول العم مقبل ـ الذي أفاد بهذه المعلومات ـ رَحِمَهُ اللَّهُ نسيت اسمه.

(٤) ستأتي ترجمته عند ذكر شيوخه.

(٥) حدثني بذلك العم مقبل عن الجد رَحِمَهُ اللَّهُ.

عند وصولنا إلى الرياض؛ استقبلنا سماحة الشيخ: **عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ** (ت: ١٣٣٩هـ) ، وأكرمنا ورحب بنا، وقد كنا متعجبين من حفاوة الشيخ عبدالله عند استقباله لنا، وإكرامه إيانا! حتى إنه ذبح لنا ذبيحة، وهذه لها دلالتها ومغزاها في ذلك الوقت، وكنا نقول في أنفسنا: من نحن حتى يعمل معنا الشيخ هذا العمل؟!

وأنزلنا في مسجد دخنة ـ المعروف بالرياض ـ وبتوجيه منه أجرى لنا ـ أو لكل واحد منا ـ ريالين في الشهر، فإذا جاءت هذه الريالات جمعناها، ثم نزل اثنان منا للسوق، واشترينا قُلّة تمر[1]، وإدامًا[2]، وقد يقع هذا مرةً في الشهر، وقد يأتينا من أهلنا بعد مدة طويلة ـ تُقَدّر من أربعة إلى ستة أشهر ـ قليلٌ من دقيق الحنطة نتقوى بها.

وكنا متفرغين ليلاً ونهارًا لطلب العلم والمذاكرة، وكان الشيخ عبدالله يجلس لنا بعد صلاة الفجر إلى أن ترتفع الشمس، ثم يصلي ويذهب إلى بيته قليلاً، ثم يعود ويجلس لنا حتى نهاية الضحى، ثم يذهب إلى بيته ليرتاح (القيلولة)، ثم يعود ليصلي الظهر، ويجلس حتى قبيل العصر بقليل، ثم يعود لبيته ويتوضأ، ثم يرجع ليصلي العصر، ويجلس إلى قبيل المغرب، ثم يذهب ويتوضأ ويعود، ثم يجلس إلى العشاء أو قبيل العشاء بقليل، ثم بعد أذان العشاء يقرأ قارئ في تفسير ابن كثير، ثم بعد

---

(١) والقُلة ـ في عرف الناس ـ تقدر بما يزيد على ستين كيلو جرام، وكانت تأتي من الأحساء.

(٢) والمقصود بالإدام هنا هو: قليل اللحم.

صلاة العشاء أظنه ما كان يجلس، وكنا ننام مبكرين، لنغتنم شيئاً من الليل في المذاكرة مع الإخوان[1]، وأحياناً قد لا يوجد سراج نتذاكر عليه [2].

وبقي الجد ﷺ في الرياض يطلب العلم نحواً من سنتين ـ كما سبق ـ .

وقد أفاد من عدد من العلماء الذين سأذكرهم في مسرد شيوخه، ومن أبرزهم: الشيخ عبدالرحمن بن جريس، والشيخ إبراهيم بن عبداللطيف، والشيخ حمد بن فارس، والشيخ سعد بن عتيق، وغيرهم ـ رحمهم الله ـ .

ورجع بعد مدة ـ بعد أن حصل قدراً طيباً من العلم ـ إلى أهله، الذين واجهتهم شدة في المؤونة؛ فاقتضى ذلك منه عملاً دؤوباً في الفلاحة، مما خاف أن يشغله عن طلب العلم، ثم سافر مرة ثانية إلى الرياض على الإبل ومعه رفقة صالحة، منهم: محمد المبارك وأولاده ـ رحمهم الله ـ وجلس على مشايخه مدة، ثم رجع من الرياض ـ بسبب الإلحاح الذي كثر عليه ليكون إماماً في إحدى الهجر ـ إلى بريدة؛ ليواصل مسيرته في طلب العلم.

---

(١) ومن الأمور التي كانوا يحيون الليل بها: قيام الليل، فهذا أمرٌ معروف في سيرتهم رحمهم الله.

(٢) يضيف العم مقبل معلقاً: وإن وُجِدَ سراجٌ فهو السراج الذي يشبه علبة زيت الفرامل ـ لمن يعرفها ـ يحقن مادة كيروسين (قاز)، ويوضع فيه (فتيلة) من القطن، وفي أعلاه ثقب، والفتيلة الغارقة في الكيروسين تمتص منه وتشتعل النار فيها من الأعلى، وهو المصباح.

وربما استعملوا الوقود من الشحم المذاب المسمى (الودك) ـ وهو موجود في وصايا الجيل الذي قبل جيل الوالد ـ، إذ هو يوقف على إنارة المساجد، وهو من شحم أسنمة الإبل، يذاب ويستعمل؛ لأن الكيروسين لم يوجد عندنا إلا بعدما جاء الملك عبدالعزيز ﷺ بحوالي عشرين سنة أو أكثر، عندما توفر عندنا البترول، والحمد لله.

فيمم وجهه شطرها، وبقي فيها مدة امتدت إلى سنة ١٣٤٦هـ؛ ينهل في تلك المدة من علوم مشايخه: عبدالله بن سليم، وعمر بن سليم ـ رحمهما الله ـ حتى تخرج من حلقة شيخه الذي تأثر به كثيراً؛ فضيلة الشيخ عمر بن محمد ابن سليم رحمه الله (ت: ١٣٦٢هـ)ـ.

وكانت سنة ١٣٤٦هـ هي آخر سنة جلس فيها الجدّ على شيوخه في بريدة، إذ أصدر؛ الملك عبدالعزيز رحمه الله أمره للشيخ عمر ابن سليم بانتقاء مجموعة من طلبة العلم ليكونوا قضاةً ودعاة وأئمة للمساجد في الحجاز والجنوب؛ فعُيّن الجد رحمه الله أميراً على هؤلاء في تلك الرحلة؛ بناء على توجيه أمير بريدة آنذاك، وبناءً ـ أيضاً ـ على اختيار شيخه الشيخ عمر ابن سليم رحمهم الله أجمعين»[1].

ولا شك أن تعيينه رئيساً لهم دليل على مكانته عند شيخه علمياً وقيادياً، ومن تأمل في ظروف تلك الوقت، والجهات التي أرسل إليها هؤلاء القضاة والأئمة؛ أدرك معنى ذلك.

ومن المهم هنا ـ ما دام الحديث عن رحلته إلى طلب العلم في بريدة ـ أن يشار إلى مَنْ كان له أثرٌ وفضلٌ على الجدِّ رحمه الله إبان إقامته في بعض تلك الفترات من طلبه للعلم.

ذلك أنه كانت بين الشيخ محمد المبارك وأولاده وبين الجدِّ ووالده وعمه الشيخ علي ـ رحمهم الله أجمعين ـ علاقة قويّة ووثيقة، ظهرتْ آثارها حين وجود الجدِّ رحمه الله هناك في بريدة.

---

(١) وبهذا ينتهي ما كتبه العم مقبل ـ أثابه الله ـ عن هذه الفترة من حياة الجد رحمه الله .

ومن ذلك ما حدّث به الجدُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عن قوة هذه العلاقة وآثارها، وفضل الشيخ محمد المبارك[1] عليه، يقول الجد رَحِمَهُ اللَّهُ واصفاً ذلك:

لما وصلتُ إلى بريدة لطلب العلم ـ ولا أدري هل هي المرة الأولى، أو بعد عودتي من الرياض ـ هرباً من تعييني (مطوعاً) في إحدى الهِجَر ـ وكان وصولي إليها على حمار، ثم أعدته إلى أهله بالمذنب مع بعض المعارف، وكان معي بعض الكتب في بقشة (وهي كيس مربع من الخام)، فلما رآني الشيخ محمد المبارك قال: (أبعدي) ـ وهي كلمة عامية معروفة تقال لمن دُعي له بالبقاء بعد الداعي ـ قالها محمد المبارك فرحاً بقدومي لطلب العلم؛ فقلتُ: النية ـ إن شاء الله ـ لطلب العلم.

ولكن لم يَدُرْ في حسباني أبداً أنني سوف أبقى في منزل محمد المبارك! وذلك أنني بحثتُ عن سكن ـ كعادة الوافدين ـ حُجْرة من حجر المسجد، أو بيت مشترك مع الطلبة الوافدين إلى بريدة لطلب العلم، ومن الغد أو بعده أخذتُ كتبي ومعي ثوب، وقطعة بشت متواضع، فرآني محمد، فقلتُ له بعض العبارات التوديعية، فقال لي: إلى أين؟! فأخبرته! فقال: لا والله! أنا وإياك في هذه القهوة! حاولت أن أتخلص؛ لكن دون جدوى!

فحططتُ رحالي عنده، وجلست أربعة أشهر، يدي مِن يده في أكله وشربه!

وكان من أعجب ما رأيت من حال هذا الرجل ـ محمد المبارك ـ:

---

(١) وآل مبارك هؤلاء من بني خالد، ومنهم الحميد، الذي اشتهرت تجارتهم في منتصف القرن الفائت، وهم كرماء ونبلاء.

صبره على قيام الليل الذي لا يطيقه إلا القليل من الناس! **فتعلمت منه الصبر على قيام الليل**، وهو شيخ كبير، وأنا شاب يافع!

وبعد مضي أربعة أشهر جاءني كتاب من والدي رحمه الله يقول: احضر؛ فإن الزرع حان حصاده، فأبلغت مضيّفي محمد المبارك؛ فقال رحمه الله: لا بد من طاعة الوالد، وإلا فأنت متوجه في طلب العلم، لكن لا تغفل، أو كلاماً نحو هذا.

ولما أردتُ توديعه، قبّلتُ رأسه وأعطيته عشرين ريالاً فضة، فلما كانت في يده (كتّها)[1] في القهوة ـ وهي الغرفة التي نحن فيها ـ وجعل يردد: الله يهديك يا محمد! الله يهديك يا محمد! فخجلت خجلاً شديداً!! وجعلت ألقطها واحداً واحداً، وأنا أسترد أنفاسي.

فهذه بعض ذكريات الجد مع الشيخ محمد المبارك الذي كان إذا ذكره انهملت عيناه بالدموع ـ رحمهم الله جميعاً ـ.

ومن المواقف التي تدل على عظيم ما كان بينهم من إلف ومودة:

أن الجد رحمه الله ـ بعدما انتهى من طلب العلم في بريدة، أو في أثناء ذلك ـ زار بريدة هو وبعض زملائه وأحبابه، وكالعادة اتجهوا إلى بعض آل مبارك ـ الذين لهم مزرعة نخيل في جنوبي بريدة بما يعرف الآن بـ(رواق) ـ وكان قدومهم ليلاً، ولم يجد أحداً في بيت المزرعة، ووجد الباب موصداً! فكان مَنْ معه يسترجعون؛ ويقولون: (إنا لله وإنا إليه راجعون، يا الله مقسوم

---

(١) أي: رماها..

خير!) ذلك أنهم كانوا متعبين؛ ويشتهون الراحة.

فتلفتُ الجد رَحِمَهُ اللَّهُ يمنة ويسرة، وتوجه إلى محل قريب من الباب، فحفر قليلاً ثم أخرج المفتاح، وفتح الباب، ودخلوا، وأوقد السراج، ثم أوقد النار، وملأ الدلة الكبيرة ـ التي تصنع فيها القهوة ـ ماءً، ثم حمس القهوة وأصلح لهم الشاهي ... الخ، فقال أحد الرفاق (ممازحاً) : الشرهه على اللي يخليلك[1] تعرف مفاتيح داره!!

وهذا الفعل من الجد رَحِمَهُ اللَّهُ كان من باب المودة والثقة التي تجاوزت حدوداً كثيرة، وقد قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ .... ﴾ إلى قوله: ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ ... ﴾ الآية [النور : ١٦][2].

وأما الحديث عن حياته وعمله في القضاء، وشيء من أخباره في هذه المهمة؛ فهذا ما سنفصل الحديث عنه ـ إن شاء الله ـ عند الحديث عن سيرته الوظيفية، وكذا عند الحديث عن رحلته إلى الجنوب.

*** شغفه بالقراءة وسماع العلم ونشره:**

كان الجدّ رَحِمَهُ اللَّهُ شغوفاً بالعلم قراءة وسماعاً ، وقد تمثل ذلك في حياته منذ أن حبب الله إليه طلب العلم، وسأورد ههنا بعض المواقف والمعالم التي تدل على ذلك:

---

(١) أي: العتب على الذي يجعلك.

(٢) أخبرني بهذه المواقف عن آل مبارك العم مقبل أثابه الله

١- يقول الشيخ عثمان الصالح رحمه الله :

«كان من عادته رحمه الله أنه لا يسمح في مجلسه بالخوض في حديث يدور حول الدنيا ولا الأشخاص، وكان دأبه اصطحاب ما تيسر من الكتب العلمية، وذات مرة كان في زيارةٍ لي، وسمع صوتاً لأحد علمائنا يتحدث بواسطة المذياع؛ فاستغرب الصوت، وناسبه الحديث! وقال: أين المتحدث؟ ـ وظن أنه في أحد جوانب البيت ـ فأخبرته أنه هذا الراديو!

فقال لي الشيخ : إنه أول مرة يراه ويسمعه! ثم قال: إنه يغني!

فقلت: إن للغناء أوقاتاً وللحديث والفوائد أوقاتاً، فاستغرب ذلك، وبانتهاء الحديث أقفلنا المذياع؛ ولم نرد إحراجه فيما لا يحب، **ثم أمر القارئ بالشروع في كتاب «إعلام الموقعين» لابن القيم رحمه الله ، وكان صحيح مسلم مع شرحه لا يفارقه.**

فسألته: وصحيح البخاري؟

قال: صحيح البخاري قرأته خمس مرات [١]!

٢- وهذا موقف يؤكد شغفه بالعلم وطلبه، والمطالعة ـ مع صعوبة الأحوال ـ ذلك أن الجد رحمه الله بحث مرةً عن كتاب فلم يجده إلا عاريّة، فاستعاره وكتبه كاملاً بيده، فكانت فرحته كبيرة أن اقتنى كتاباً يملكه[٢] !

---

(١) هذا مع صعوبة توفر الكتب آنذاك، وطبيعة إخراجها الفني، واليوم قد يوجد عند بعض طلاب العلم أكثر من طبعة للصحيح، وما قرأه ولا نصفه!.

(٢) حدثني بذلك العم صالح أثابه الله.

٣- كان حريصاً على اقتناء ما يجد من الكتب المطبوعة التي ينتفع بها الطلبة، ففي مكاتبة بينه وبين شيخنا الشيخ عبدالله ابن عقيل في ٢٤/ ٤/ ٨٩ هـ[١]، جاء فيه:

«ونبدي لحضرتكم أننا طلبنا العام من الشيخ[٢] جملة من نسخ التوحيد، ولا تيسرت، والآن نحن في حاجة ماسة لذلك، ونرجو من فضلكم المساعدة على توصيلها، كان الله في عونك في أمر دينك ودنياك».

٤- حدثني الشيخ ناصر بن إبراهيم السكران ـ حفظه الله ـ قال: حين كنتُ أميناً للمكتبة العامة بالمذنب، كنت أذهب في الضحى إلى منزل الشيخ رحمه الله، لآتي به إلى المكتبة؛ لعلمي بحبه للكتب والاطلاع، وبالفعل، فقد قرأت جزءً لا بأس به من كتاب «معارج القبول» للشيخ حافظ حكمي رحمه الله.

٥- وبتتبع سيرته؛ فقد وُجِدَ أنه قرأ بنفسه، وقرئت عليه كتبٌ كثيرة، تبلغ المئين ـ وبعضها أكثر من مرة ـ، ومن هذه الكتب التي قرأها أو قرئت عليه[٣]:

---

(١) وهذا الكتاب بعد تقاعد الوالد عن القضاء بنحو عشر سنوات، ومع هذا فلم تنقطع المراسلات بينه وبينه إخوانه من أهل العلم ـ رحم الله الجميع ـ وسيأتي نص هذه المراسلة عند الحديث عن مراسلاته بإذن الله.

(٢) لعله الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله.

(٣) أخبرني بذلك العم صالح رحمه الله.

١- إعلام الموقعين لابن القيم.

٢- إغاثة اللهفان لابن القيم.

٣- أكثر كتب العلامة السعدي.

٤- الآجرومية في النحو.

٥- الأحكام السلطانية للماوردي.

٦- الأصول الثلاثة، والقواعد الأربع، وآداب المشي للصلاة، للإمام المجدد.

٧- البداية والنهاية، لابن كثير.

٨- الرحبية وشرحها لسبط ابن المارديني.

٩- الروض المربع، للبهوتي.

١٠- العواصم والقواصم، لابن العربي.

١١- المغني لابن قدامة.

١٢- النونية لابن القيم.

١٣- الوابل الصيب، لابن القيم.

١٤- بعض تاريخ الجبرتي.

١٥- بعض تفسير صديق حسن خان.

١٦- بعض ردود الشيخ حمود التويجري.

١٧- تاريخ الطبري.

١٨- تاريخ الواقدي.

١٩- **تفسير القرآن العظيم**، لابن كثير، وقد حدثني الشيخ سالم بن إبراهيم العجيمي رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قرأ هذا الكتاب بنفسه على الجد رَحِمَهُ اللَّهُ أربع مرات في حديث العشاء!

٢٠- **ديوان ابن عثيمين**.

٢١- **رياض الصالحين**، للنووي.

٢٢- **زاد المعاد** لابن القيم.

٢٣- **سيرة ابن هشام**.

٢٤- **شرح العقيدة السفارينية** ، للسفاريني.

٢٥- **صحيح البخاري** (قرأه خمس مرات) كما ذكره عنه الشيخ عثمان الصالح.

٢٦- **صحيح مسلم مع شرحه للنووي** (كان يصطحبه معه في السفر).

٢٧- **طريق الهجرتين**، لابن القيم.

٢٨- **فتح المجيد**، لعبدالرحمن بن حسن.

٢٩- **في ظلال القرآن**، لسيد قطب.

٣٠- **قطعة من كتاب الإنصاف**، للمرداوي.

٣١- **مجموع الفتاوى لابن تيمية**، قرئ عليه منه خمسة مجلدات.

٣٢- **مختصر السيرة**، للإمام المجدد.

٣٣- **مخمسات ابن سحمان**.

٣٤- **مشكاة المصابيح** للخطيب التبريزي.

ومن الكتب التي قرئت عليه من بعض طلابه:

١- منتقى الأخبار لابن تيمية

٢- بلوغ المرام[١].

٣- قطعة من معارج القبول[٢].

(١) قرأهما الشيخ إبراهيم الضيف الله اليوسف رَحِمَهُ اللَّهُ ، حين رحل إلى الجدّ رَحِمَهُ اللَّهُ ليطلب العلم عليه، وسيأتي ذكر ذلك في ذكر ترجمته عند ذكر تلاميذ الجد.

(٢) قرأه الشيخ ناصر السكران كما سبق قريباً.

شيوخه وزملاؤه وتلاميذه

شيوخه وزملاؤه وتلاميذه

أولاً: شيوخه:

الأخذ عن الشيوخ وأهل العلم سنةٌ قديمة، وفي قصة رحيل موسى إلى الخضر أكبر عبرة.

والأخذ عن الشيوخ ـ خصوصاً في بواكير الطلب ـ له من الآثار العلمية، والثمرات التربوية؛ ما يدركه المطالع لسير مَنْ لم يحفلوا ولم يهتموا بهذا الأمر، بل كان جُلُّ طلبهم للعلم ـ خصوصاً في بدايات تحصيلهم ـ من الكتب والصحف؛ ولهذا لمّا أدرك السلف الصالح أن العلم ليس مجرد معلومات، بل هو علمٌ وتربية؛ حرصوا على التلقي عن الشيوخ، والإكثار عن المتقنين، وتتبع من عرف منهم بالديانة، والورع، وكريم الأخلاق، ولقد سار المترجم له رَحِمَهُ اللَّهُ على هذه السنة؛ فقد تلقى عن جمع مبارك من أهل العلم في زمانه، وهذا ذكرٌ لمن وقفتُ عليه منهم، مرتّباً أسماءهم حسب الحروف الهجائية:

١ - إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ[1].

---

(١) هو القاضي العلامة الشيخ إبراهيم بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، وهو والد سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله، ولد في مدينة الرياض عام ١٢٧٩، وقيل ١٢٨٠، وتوفي والده ولما يبلغ الخامسة عشرة من عمره، قرأ القرآن، وأخذ العلم عن عدد من العلماء، وبرع في العلوم النقلية والعقلية، وكان آية في الفهم والحفظ؛ حتى كاد يستوعب السنن والآثار حفظاً، وقد جلس للتدريس في علوم مختلفة من علوم الإسلام، وتخرّج على يديه عدد من الطلبة الذين تولوا القضاء والحسبة والتدريس وغيرها، وقد تولى هو القضاء في مدينة الرياض في عهد الملك عبدالعزيز إلى =

٢- حمد بن فارس[١]

٣- سعد بن عتيق[٢]

٤- عبدالرحمن بن جريس[٣]

= أن توفي عام ١٣٢٩، ودفن في مقبرة العود بالرياض.

ينظر في ترجمته: «علماء نجد خلال ثمانية قرون»: (١/ ٣٤٠)، «المبتدأ والخبر لعلماء القرن الرابع عشر»: (١/ ٧١)، «روضة الناظرين: (١/ ٤٠)».

(١) هو العلامة العارف التقي الناصح الشيخ حمد بن فارس بن محمد بن رميح العرني التيمي الربابي، ولد بالرياض عام ١٢٦٣، نشأ على يد والده نشأة طيبة فكان والده من شيوخه، أخذ فنون مختلفة من العلم، لكنه أكثر من علوم العربية حتى أصبح سيبويه زمانه، ومرجعاً لطلاب العلم، وكان مع هذا كثير الصيام قل أن تراه مفطراً، ملازماً للصف الأول، تولى حفظ بيت المال – بعفة ونزاهة تامة – للإمام عبدالله الفيصل، ثم للإمام عبدالرحمن، ثم للملك عبدالعزيز في نجد، وعُيِّن مديراً لأوقاف آل سعود، فحمدت سيرته في ذلك، وقد جمع مكتبة كبيرة غنية بنفائس المخطوطات. توفي رحمه الله عام ١٣٤٥، ودفن في مقبرة العود، رحمة واسعة.

ينظر في ترجمته: «علماء نجد خلال ثمانية قرون: (٢/ ٩٧)، «المبتدأ والخبر لعلماء القرن الرابع عشر»: (١/ ٢٧٤)، «تسهيل السابلة»: (٣/ ١٧٧٩).

(٢) هو القاضي العلامة المحدّث الفقيه سعد بن حمد بن علي بن راشد بن حميضة، اختُلف في مولده فقيل: ١٢٤٩، وقيل: ٦٧، وقيل: ٧٧، وقيل: ٧٩، والله أعلم.

حفظ القرآن، وطلب العلم على جماعة من علماء نجد، منهم والده الشيخ حمد، وله رحلات لطلب العلم، فرحل إلى الرياض، ورحل إلى بلاد الهند رحلة شاقة مضنية، صابراً محتسباً، وقد كتب رسالة عن تلك الرحلة، ولقد كان كامل العقل، شديد التثبت، حسن السمت والخُلُق، كثير التواضع قليل الكلام. وقد أفاد من علمه خلق كثير. توفي رحمه الله عام ١٣٤٩، وصلي عليه بالرياض، ودفن في مقبرة العود.

ينظر في ترجمته: علماء نجد خلال ثمانية قرون: (٢/ ٢٢٠)، «المبتدأ والخبر لعلماء القرن الرابع عشر: (١/ ٣٦٨).

(٣) لم أقف له على ترجمة.

٥- عبدالرحمن بن سالم (شيخ بلدة فريثان)[١]

٦- عبدالله بن دخيل[٢]

٧- عبدالله بن محمد بن سليم [٣]

---

(١) هو القاضي الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله بن سالم، ينتمي إلى قبيلة يقال لهم: آل عيد، ينتمون إلى الدواسر، ولد في بلد منفوحة إحدى ضواحي مدينة الرياض، قرأ القرآن وأخذ العلم على مجموعة من الشيوخ، حتى كانت له اليد الطولى في علم التوحيد، وكان قوي الذاكرة، إخبارياً يحفظ قدراً كبيراً من التاريخ، وكان رابط الجأش محباً لطلابه، عُيّن قاضياً أولاً في بلد الأرْطَاوِيَّة، ثم نقل إلى فُرَيثان، ثم إلى بلدة دخنة – من مناطق القصيم –، ومنها إلى قضاء وادي الدواسر، ثم إلى الدِّلم، وبها توفي عام ١٣٥٤، رحمه الله.

ينظر في ترجمته: المبتدأ والخبر لعلماء القرن الرابع عشر: (٢/ ٢٠٤).

(٢) هو الشيخ العالم الفقيه عبدالله بن محمد بن عثمان بن عبدالله بن ناصر بن دخيّل، من آل رحمة، الناصري، من بني الحارث بن عمرو التميمي، ولد عام (١٢٦١هـ) في المجمعة، وأخذ مبادئ العلم عن الشيخ علي بن عيسى، ومن شيوخه: عبدالرحمن بن حسن - صاحب «فتح المجيد» ، وابنه عبداللطيف، وغيرهما.

تنقل بين عدة مناطق لطلب العلم، فلما ذاع صيته، واشتهر أمره، طلبه جماعته النواصر في المذنب - الذين كانوا أمراء البلد آنذاك - ليكون قاضيا، ومفتياً، وواعظاً، فرحل إليها عام ١٣٠٠هـ، فأقام فيها دروسه، وصار من العلماء الذين يُرحل إليهم، حتى بلغوا في وقت من الأوقات سبعين طالباً للعلم، وبقي في المذنب حتى توفاه الله تعالى سنة (١٣٢٤هـ)، وجزاه عما قدم للإسلام وأهله خيراً، وبارك في ذريته.

ينظر في ترجمته: علماء نجد خلال ثمانية قرون (٤/ ٤٩٠) للبسام ، «المدخل المفصل» ١/ ٥٥٩ لبكر أبو زيد.

(٣) هو الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالله آل سليم، ولد سنة (١٢٨٤هـ) وتربى في بيت علم ودين، تلقى العلم على والده وعم والده، ثم رحل إلى الرياض ليأخذ عن علمائها، وكان واسع العلم، ورعاً تقياً، زاهداً، له أثر كبير في نشر العلم والدعوة، وكان ممن رُحل إليه من مدن القصيم المختلفة، توفي رحمه الله سنة (١٣٥١هـ).

ينظر في ترجمته: علماء نجد خلال ثمانية قرون (٤/ ٤٦١)، علماء آل سليم (٦٤)، المبتدأ والخبر (٤/ ٣١١).

٨- عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ[١]

٩- علي بن مقبل (عم الشيخ محمد) (ت: ١٣٧٣هـ)[٢].

١٠- عمر آل سليم (وهو من أكثر شيوخ المترجم له تأثيراً عليه وإعجاباً به وبشخصيته)[٣].

١١- محمد بن عبدالله بن دخيل

---

(١) هو «الشيخ العلامة، والحبر الفهامة، الإمام عبدالله بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، ولد في الهفوف سنة (١٢٦٥هـ) حين كان والده هناك يعلم الناس، وتوفي في الرياض سنة: (١٣٣٩هـ)، كان وافر العقل، كريماً، غيوراً، إماماً في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، صدّاعاً بالحق، مرجعاً للخاص والعام، تصدر للتعليم، فتخرج به علماء كثيرون ، وقدر جعل الله في القلوب محبةً وهيبة في الصدور والإجلال في النفوس، وكان نافذ الإشارة، مسموع الكلمة.

ينظر في ترجمته: علماء نجد خلال ثمانية قرون ١/ ٢١٥-٢٣٠ ، الأعلام للزركلي (٤/ ٩٩).

(٢) ذكرتُ شيئاً من سيرته عند الحديث عن نشأة الجد ـ رحمة الله عليهما ـ.

(٣) هو الشيخ عمر بن محمد بن عبدالله بن حمد ابن سليم، ولد في بريدة (١٢٩٩هـ) ، تلقى العلم على بعض علماء الرياض ، وأشهرهم الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، وعين قاضياً من قبل الملك عبدالعزيز في عدة أماكن، واستقر به المقام في بلده بريدة، وكانت له مكانته الكبيرة في القصيم عامة، وعند أهل بريدة خاصة، وله حظوة عند الملك عبدالعزيز، وقد تفرغ للتعليم والدعوة، وقدم إليه الطلاب من آفاق القصيم، وتخرج على يديه أفواج من طلاب العلم.

يقول الشيخ عبدالله ابن بسّام رحمه الله : «وبالجملة فهو من العلماء الكبار الذين جعل الله في علمهم البركة، وفي سعيهم الصلاح، حتى نفع الله بهم الخاص والعام والقريب والبعيد، والعمل الصالح من الرجل الصالح يكون له أكبر الأثر، وأعظم النفع ، وكان إلى علمه الواسع ، ونفعه المتعدي إلى العباد، أوقاته في غير الدروس معمورة بالتلاوة والذكر والصلاة، فلا يمل من ذلك ولا يفتر، .... وكان من الكرماء الأجواد، ... عاقلاً منصفاً ناظراً في عواقب الأمور، وكان شجاعاً يوقف كل معتد عند حدّه، جمع بين العلم الكثير والجاه العريض، والزعامة الشعبية والمحبة القلبية، والذكر البعيد الطيب» انتهى ملخصاً من كتاب: علماء نجد خلال ثمانية قرون ٥/ ٣٢٩.

ثانيا: زملاؤه

الطلب على الأكابر، والرحلة في طلب العلم عليهم مظنة الرفقة، والتعرف على أصحاب وأصدقاء في هذا الطريق، وهكذا كان الحال مع الجد رحمه الله.

فمن زملائه في الدراسة وطلب العلم (مرتبين هجائيا)

١- جارالله بن إبراهيم الجارالله.

٢- جارالله بن عبدالكريم الجارالله.

٣- سليمان بن صالح الخزيم

٤- سليمان بن علي الحسياني[1].

٥- صالح الناصر الحسين.

٦- صالح بن إبراهيم الجار الله.

٧- عبدالرحمن الطرباق.

---

(١) هو الشيخ سليمان بن على بن محمد بن رشيد بن محمد الحسياني الناصري العمروي التميمي، ولد سنة (١٣١٥هـ) وقد عُرف رحمه الله بالورع والنقاء والصدق والإخلاص والأمانة، واشتهر بكرم أخلاقه وطيب معشره، وكان يؤثر رفاقه على نفسه، تلقى تعليمه على عدد من المشايخ، ثم رحل للرياض طلباً للعلم مع الشيخ محمد المقبل، والشيخ عبدالله العجيمي، وبعد عودتهم رحل مع الشيخ محمد المقبل إلى بريدة، واستقروا بها عدة سنوات، ودرسوا خلالها على يد الشيخ عمر بن سليم، ثم عين بعد عودته إلى المذنب، إماماً ومعلماً لقبيلة الحمادين.

وفي عام ١٣٤٦هـ أرسله الملك عبدالعزيز ـ بتوجيه من الشيخ عمر بن سليم ـ لمنطقة الجنوب، وكان نصيب الشيخ من تلك الجهات قرية الشونة ـ من بلاد علكم ـ ظل بها قاضياً ومعلماً لمدة ثلاث سنوات، توفي رحمه الله سنة (١٣٨١هـ)، ينظر: علماء من المذنب للباحث خالد الحسياني (لم يطبع).

٨- عبدالرحمن المحيميد

٩- عبدالعزيز السبيل

١٠- عبدالله الرشيد الفرج[١]

١١- عبدالله العجيمي[٢]

١٢- عبدالله المبارك (عبود المبارك)[٣].

١٣- عبدالله بن سليمان الحميد[٤].

---

(١) ولد في بريدة عام ١٣٠٨ تقريباً، حفظ القرآن عن ظهر قلب، ولازم العلم والعلماء، ثم كان خطيب جامع بريدة، وكان صالحاً عفيفاً، كريم النفس متواضعاً، منقطعاً للعلم والعبادة، حتى قال البسام: «لو أقسم إنسان أنه لا يوجد له في بريدة كاره لما حنث»، وكان واسع الإطلاع، توفي رحمه الله عام ١٣٧٩.
ينظر لترجمته: «علماء نجد خلال ثمانية قرون ٤/ ١١٨».

(٢) هو الشيخ عبدالله بن إبراهيم العجيمي، ولد عام ١٣٠٨هـ، تلقى مبادئ التعليم على علماء حائل، حيث كان والده يحرص على أخذه معه إلى مجالس أهل العلم منذ صغره، فحفظ القرآن مبكراً، ثم استقر الشيخ هو وعائلته بالمذنب خلال المرحلة الأخيرة من حكم آل رشيد، ثم سافر بصحبة والده إلى الرياض طلباً للعلم، ودرس على عدد من علماء الرياض، فعاد بحصيلة جيدة من العلم، أهّلته إلى أن يكون معلماً ومرشداً في ساجر فترة من الزمن، إبان حكم الملك عبدالعزيز، ثم أرسل إليه الملك عبدالعزيز يأمره بالتوجه إلى بلدة «العمار»؛ ليكون قاضياً ومعلماً.
ينظر: كتاب "علماء المذنب" للباحث خالد الحسياني (لم يطبع).

(٣) سيأتي له ذكر في الكلام على المراسلات الأخوية (انظر: رسالة العم محمد الحسن العثمان إلى الجد رَحِمَهُ اللَّهُ).

(٤) هو الشيخ القاضي عبدالله بن سليمان بن عبدالله بن حميد، ولد في بريدة عام ١٣٢٠، ونشأ بها عند والده، وقرأ القرآن، وابتدأ بطلب علم السنة على والده، وقد أكثر من قراءة الكتب على والده، وأخذ من علوم الشريعة حتى تأهل ووصل إلى مكانة العلماء، أمّ الناس منذ صغر سنه، ونقل عام ١٣٥١ إلى قضاء البِرْك وتولى الإمامة والإرشاد فيها، ومكث =

١٤- عبدالله بن صالح الناصر.

١٥- عبدالله بن صعب

١٦- عبدالله بن عبدالعزيز السويل[١]

١٧- عبدالمحسن بن محمد الفريح[٢]

١٨- عثمان المضيان

١٩- عثمان بن عبدالله بن دخيل، وكان رجلاً صالحاً يثني عليه الجد كثيراً.

٢٠- علي الصقعبي.

= فيها مدة درّس فيها ونفع الله به.

ثم عام ١٣٦٢ نُقل إلى قضاء عسير أبها وملحقاتها وكيلاً لقاضيها مدة مرضه، ثم عاد إلى البرك حتى عام ١٣٦٦، وقد أثنى عليه عدد من العلماء في سيرته ومصنفاته، فكان ذا نفع للمسلمين لا يُوصف، توفي رحمه الله عام ١٤٠٤.

ينظر في ترجمته: «المبتدأ والخبر لعلماء القرن الرابع عشر: (٤/ ٩٠)».

(١) هو الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدالله آل سويل، له مشاركة في العلوم الشرعية، وقد انتقل إلى مكة إماماً لأحد مساجدها، وله نشاط في نشر الكتب المفيدة، ثم عاد إلى عنيزة حتى وافاه أجله فيها سنة (١٣٨٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، ومن أبنائه: معالي أ.إبراهيم السويل، وزير الزراعة السابق، توفي سنة (١٣٩٧هـ).

ينظر في ترجمته: «علماء نجد خلال ثمانية قرون ٤/ ٢٨٠.

(٢) هو الشيخ عبدالمحسن بن محمد بن فريح من بني عمرو بن تميم، ولد في البكيرية عام ١٢٩٢، وتعلم القرآن، ومبادئ العلوم، ثم انتقل إلى المذنب، ولازم دروس الشيخ عبدالله بن محمد بن دخيل، وكان غالب دروسه في كتب الحديث، وكان من محفوظاته «منتقى الأخبار» للمجد ابن تيمية، وغيره من كتب الحديث، وعاد إلى بلده البكيرية عام ١٣١٩، وسافر إلى الرياض للعلم، ولما رجع لبلدته انصرف للتدريس والعبادة والإفتاء، توفي رحمه الله عام١٣٧٩.

ينظر في ترجمته: «علماء نجد خلال ثمانية قرون ٥/ ٣٠».

٢١- علي الغضية[1].

٢٢- محمد البليهي

٢٣- محمد السبيل

٢٤- محمد المبارك.

٢٥- محمد بن سيف

٢٦- محمد بن صالح الخزيم

٢٧- ناصر بن سليمان الجار الله.

ولقد بقيت علاقة الجد بإخوانه وزملائه ممتدة حتى فارقوا الحياة، ولسان الحال يقول: ﴿وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٧٣٢].

فلقد كان الجدّ رحمه الله يتعاهد إخوانه بالزيارة الدورية، وذلك أنه جعل لنفسه زيارات مرتبة ـ كما أخبرني الأعمام ـ وذلك كما يلي: **الزيارة اليومية**: وهي للقريبين منه مكاناً ومحبةً وسنًا، مثل: الشيخ/ عبدالرحمن الدهلاوي رحمه الله.

الزيارة الأسبوعية: لأبناء عمه وأقاربه وقريباته في الديرة ـ التي

---

(١) هو الشيخ علي بن عبدالرحمن بن محمد ابن غضية، ولد في بريدة عام ١٣١٣، بدأ بطلب العلم على العلماء، حتى كان ضمن العلماء الذين بُعثوا لمنطقة جيزان، وبعدها رجع لبريدة وعلّم بها، ثم نقل قاضياً في بلدة الفوارة، ثم لبلدة دخنة، ثم للأسياح في القصيم، ثم طَلب الإعفاء من القضاء؛ فعين مرشداً لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القصيم، وكان طيب القلب، محباً للخير، ورعاً عفيفاً، يحب البحث والمناقشة في المسائل العلمية، توفي عام ١٤٠٤.

ينظر في ترجمته: «علماء نجد خلال ثمانية قرون ٥/ ٢١٧».

كانت تبعد عن الشورقية مئات الأمتار ـ كزيارة ابناء عمه عبدالرحمن العلي المقبل، وعبدالله العلي المقبل، وسليمان العلي المقبل، وحصة العلي المقبل، وغيرهم.

الزيارة الشهرية: فللأبعد جغرافيًا بالنسبة لمكان إقامته في حي الشورقية، مثل: زيارة ابن خالته عبدالرحمن العبود الذي كان يسكن في مزرعته المعروفة بـ"الهيشة".

الزيارة السنوية: حيث إن له عادةً سنوية في زيارة إخوانه من أهل العلم وأصحابه ورفقائه في الطلب في بلدان القصيم ـ على تنوعها ـ وخارج القصيم، **وقد تستغرق هذه الرحلة أسبوعاً كاملاً.**

فهو يزور أصحابه مراعياً في ذلك الخريطة الجغرافية، فيبدأ بعنيزة ثم «البدائع» ثم «الرس» ثم «قصر ابن عُقَيِّل»، ثم «الخبراء»، ثم «رياض الخبراء»، ثم «البكيرية»، ثم «المريدسية»، ثم «بريدة»، ثم «الشماسية».

وكذلك له زيارة للمشايخ والأقارب والأصدقاء في الرياض والخرج والسر والزلفي.

ومن البلاد التي زارها ـ على بعدها في ذلك الوقت ـ: «حوطة بني تميم» ـ لمدة أربعة أيام ـ عام ١٣٨٧هـ وكان في صحبته حبيبه وصديقه العزيز، الشيخ عبدالله بن راشد التويجري[1].

أما ما الذي يدور في تلك الزيارات؟ فإنه التواصي بالحق والتواصي

(١) أفادني بهذا: العم سليمان ـ أثابه الله ـ حيث كان مرافقا للوالد في تلك الرحلة.

بالصبر، وتذكر غابر الأيام، وربما مرّت المجالس تلو المجالس ولم يَعْرِضْ للدنيا ذكرٌ في أحاديثهم، فلقد كانوا زهاداً فيها ـ رحمهم الله ـ وكانوا يستخدمونها ولا يخدمونها.

وكما كان الجدّ يتعاهد إخوانه بالزيارة؛ فقد كان إخوانه من المشايخ والمحبين يبادلونه الزيارة ـ أيضاً ـ والتي كان لها الأثر العظيم في نفوسهم، ولقد كان يحدوهم في ذلك قول النبي ﷺ في الحديث الذي أخرجه مسلمٌ عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ : «أن رجلاً زار أخا له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته مَلَكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تَرُبُّها؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله لأ، قال: فإني رسول الله إليك، بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه»[1].

ومن أغلى وأحب الزيارات على قلبه[2] زيارة شيخه الشيخ عمر بن سليم رحمه الله، حينما كان عائداً من الرياض إلى القصيم، وكان يوماً مشهوداً، وكان ذلك ما بين ١٣٥١هـ - ١٣٥٥هـ، وقد فرح الناس به جداً، خاصة الجد ووالده وعمه الشيخ علي ـ رحم الله الجميع ـ.

واجتمع الناس، وسمعوا القراءة والتعليق على الفتاوى، وغير ذلك، وكان تقديم الضيافة لهم — من الغداء والعشاء — تحت النخل؛ مِن كثرة الناس: أصحابِ الشيخ، وأهلِ البلد الذين حضروا للسلام على

(١) صحيح مسلم (٢٥٦٧).

(٢) كما أفادني بذلك: العم مقبل، وصالح ـ أثابهما الله ـ.

الشيخ عمر، رحم الله الجميع.

وقد زاره أثناء مقامه في المذنب، ـ وخصوصاً بعد تقاعده ـ أعدادٌ لا يمكن حصرهم، من علماء وأمراء وطلاب علم، وأصدقاء ومحبين، من مناطق شتى، وغالبهم من القصيم، منهم:

١- صاحب السمو الملكي الأمير بدر بن عبدالعزيز عام ١٤٠١هـ.

٢- صاحب السمو الملكي الأمير عبدالإله بن عبدالعزيز عام ١٤٠٠هـ إبان إمرته لمنطقة القصيم.

٣- سمو الأمير عبدالمحسن بن جلوي أمير منطقة الأحساء سابقاً رحمه الله.

٤- العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله، وقد زاره مراراً.

٥- الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي رحمه الله.

٦- الشيخ عبدالعزيز بن صالح العقل حفظه الله.

٧- الشيخ عبدالرحمن الفريان رحمه الله.

٨- الشيخ عبدالرحمن بن حماد آل عمر رحمه الله.

٩- الشيخ إبراهيم بن عتيق رحمه الله.

١٠- الشيخ أبو بكر الجزائري حفظه الله.

١١- الشيخ عبدالعزيز القويفلي حفظه الله.

١٢- الشيخ عبدالله السليمان الحميد رحمه الله.

١٣- الشيخ علي الغضية رحمه الله، وابنه الشيخ عبدالله.

١٤- الشيخ عبدالله الزعاق رحمه الله.

١٥- الشيخ صالح المالك.

١٦- الشيخ عبدالله الجلالي.

١٧- الشيخ عبدالله الصايغ.

١٨- الشيخ عبدالعزيز اليحيى.

١٩- الشيخ عبدالرحمن بن عبدالعزيز الزامل.

٢٠- الشيخ زامل الصالح.

٢١- الشيخ عبدالرحمن الكغيل.

وغيرهم كثير حفظ الله الأحياء منهم، ورحم الأموات.

ثالثا: تلاميذه:

إن من عاش نحواً من ٦٠ سنة في الدعوة والتعليم والتوجيه والإرشـاد؛ فمن المؤكد أن حصر الذين استفادوا منه من الصعوبة بمكان.

إن كثرة وتنوع مجالس الجد العلمية ـ كما سيأتي بيان ذلك قريباً ـ جعل فرصة الاستفادة منه متاحة للطلاب وراغبي الإفادة ـ في المسجد أو في البيت ـ ومِنْ ثَمّ فإن حصر طلابه كالعسر، ولكن هذا ذكر من وقفتُ عليه منهم[1]:

(١) لذا فإنني أدعو كلّ من يقف على هذا الكلام أن يكرمني بذكر من يعرف من تلاميذ الشيخ رحمه الله لتستدرك في الطبعة القادمة بإذن الله، وذلك على وسائل التواصل المثبتة في المقدمة.

١- إبراهيم الضيف الله[1].

٢- إبراهيم بن حمد الناصر.

٣- إبراهيم بن صالح العبودي (العبدان).

٤- إبراهيم بن عبدالله الناصر.

٥- ابنه حسن.

٦- ابنه سليمان.

٧- ابنه صالح.

٨- ابنه عبدالله.

٩- ابنه علي.

١٠- ابنه مقبل.

١١- حمود الأحمد.

١٢- سالم بن إبراهيم العجيمي.

١٣- سليمان الأحمد.

١٤- سليمان بن علي المقبل.

١٥- عبدالرحمن بن صالح المطلق.

١٦- عبدالرحمن بن عبدالله بن علي المقبل.

---

(١) هو الشيخ إبراهيم بن ضيف الله بن يوسف الغانم اليوسف، ولد عام ١٣٣٣ بالشماسية من منطقة القصيم، وتعلم عند أبيه، وتشبث بالعلم من قبل بلوغه، فقرأ مصنفات الشيخ المجدد محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، وغيرها من كتب العلم، وقد رحل للعلم - بعد إذن والده - أولاً إلى المذنب، **حيث الشيخ محمد بن صالح المقبل**، وكان سفره مشياً على الأقدام! فدرس على شيخه مجموعة من الكتب «**منتقى الأخبار**»، «**بلوغ المرام**» وغيرهما، ثم سافر لبريدة لطلب العلم كذلك، فدَرَس مجموعة من كتب العلم في الحديث والفقه واللغة وغيرها، ثم رجع إلى بلده وأم الناس بعد أبيه، ودرّس وأفاد، توفي رحمه الله عام ١٤١٢.
ينظر في ترجمته: «المبتدأ والخبر لعلماء القرن الرابع عشر»: (٤/ ٩٠).

١٧- عبدالرحمن بن محمد الشبل.

١٨- عبدالكريم بن محمد الجارالله.

١٩- عبدالله النقيثان.

٢٠- عبدالله بن سليمان الحسياني.

٢١- عبدالله بن عبدالرحمن الدهلاوي.

٢٢- عبدالله بن عبدالرحمن بن علي المقبل.

٢٣- محمد ابن سند.

٢٤- محمد البراهيم المطلق.

٢٥- محمد الحسن العثمان (القويفلي).

٢٦- محمد بن إبراهيم النقيثان.

٢٧- محمد بن عبدالرحمن بن صالح المطلق.

٢٨- محمد بن عبدالكريم الجار الله.

٢٩- محمد بن علي العليوي.

٣٠- ناصر بن إبراهيم السكران.

٣١- د. هشام بن عبدالقادر بن محمد آل عقدة [١].

---

(١) وهو طبيب بشري فاضل، لكنه مهتم جداً بالعلوم الشرعية، التحق بكلية الشريعة والقانون، جامعة الأزهر (فرع دمنهور).

فلما وصل إلى المملكة كانت (المذنب) محط رحاله الأولى، فاستفاد من بعض مجالس الجد رحمه الله.

له عدد من المؤلفات، منها: «دور المربي في الدعوة الفردية»، و«مختصر معارج القبول»، وكتاب «مفسدات الإخوة»، وكتاب «رسالة إلى إمام المسجد»، وكتيب «كلمتي»، و كتاب «منازل العباد بين القوة العلمية والقوة العملية» وكتاب «الأدلة على اعتبار المصالح والمفاسد في الأحكام».

صفاته الخَلْقية والخُلُقية

صفاته الخَلْقية والخُلُقية

١ ـ صفاته الخَلْقية:

كان الجدُّ رَحِمَهُ اللَّهُ ربعةً بين الرجال، أبيض، كبير البطن والصدر، بعيد ما بين المنكبين، سريع المشي، لا يكاد يلحقه من يمشي معه، قويَّ البنية، جَلْداً في العمل، حتى إن كثيرًا من الناس لا يكاد يعمل معه إذا عمل في المزرعة أو في البر، وغير ذلك من الأعمال.

كان دقيقاً في أعماله ومواعيده، لا يكاد المتعقب يجد وراءه ملاحظة عند الاستعداد لعمل أو سفر[1]!

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ أبيض البشرة مشرباً بحمرة، متوسط اللحية، وكان يخضبُ لحيته، رأيتُه مراراً يفعل ذلك.

٢ ـ صفاته الخُلُقية:

كان رَحِمَهُ اللَّهُ مهيباً هيبة عظيمةً، يعرفها كلّ من خالطه أدنى مخالطة، وقوراً، قليلَ الكلام إلا فيما له حاجة، تنزع نفسه إلى شدة وحرارة مع حزمٍ قد لا يتحمله كثيرون.

حدثني الشيخ/ غربي بن نحيطر الشمري رَحِمَهُ اللَّهُ ـ أحد أهل عقلة ابن جبرين ـ عن هيبة الجد رَحِمَهُ اللَّهُ قائلاً:

لقد كانت له هيبة عظيمة في النفوس، حتى إن أحد أبناء الجبرين ـ

---

(١) أفادني بهذا: الوصف العم صالح.

الذين لهم الإمارة في العقلة ـ إذا فاتته ركعة من الصلاة خاف من عتاب الشيخ أو تأديبه!

كان رَحِمَهُ اللَّهُ معروفاً بالحزم، وقوة العزيمة، وعدم التردد في الأمور، وكأنه يتمثل قول الشاعر:

إذا كنتَ ذا رأي فكن ذا عزيمة *** فإن فاسد الرأي أن تترددا

وكان صاحبَ قرار ـ كما يعبر عنه عند المعاصرين ـ وكان هذا خلقه منذ كان شاباً.

«وكانت تكسوه هيبةٌ ووقار، يشعر بها أولاده، وقد كنا إذا أردنا أن نكلمه في شيءٍ ما ، ونحتاج إلى بعض الوقت، فإن الطريقة المثلى للتأثير عليه وإقناعه أن يأخذ أحدنا كتاباً مثل «تفسير ابن كثير»، أو «البداية والنهاية» أو كتاباً من كتب الترغيب والترهيب، ويمضي الوقت الذي نريد، وهو مرتاح البال، مثله مثل السمكة في الماء، ثم نحدثه بما نريد»[1].

ومن المواقف التي تدل على هيبته:

ما حدثني به الأستاذ إبراهيم بن صالح العبودي ـ وهو أحد طلابه ـ: أن أحد الطلبة جاء بعد صلاة الفجر على عادته؛ ليقرأ على الشيخ في مكانه المعتاد ـ وهو المحراب ـ لكن الشيخ كان قد عرض له عارض جعله يخرج، فالطالب من هيبة الشيخ في نفسه، جلس في مكانه المعتاد، وبدأ بالقراءة مع أن الشيخ غير موجود في مكانه، لكن منعه من النظر إليه، الهيبة التي كانت

(١) من إفادات الوالد حفظه الله.

تكسوه، ولم أتمالك نفسي من الضحك وأنا أراه يقرأ والشيخ غير موجود في محرابه!اهـ.

«وكان لا يعرف الكسل، وكان الباحثون عن الكلأ يبدؤون الرحلة بعد منتصف الليل، أي قبل الفجر بساعتين على الأقل.

وكان عمه الشيخ علي رَحِمَهُ اللَّهُ يعطيه قبل النوم ست تمرات، هذه هي فطوره وغداؤه حتى يعود عصرًا، أو مغربًا إلى مقر الفلاحة بضحيكة[1] بالمذنب!!

ويقول رَحِمَهُ اللَّهُ عن نفسه: إنني آكل أربعًا منها فقط، وأحتفظ باثنتين من التمر، واحدة لوالدته رحمها الله، والأخرى لخالته! ويقول: والله إنهما إنهما لتنتظران هاتين التمرتين عندما أدخل عائدًا من رحلتي الشاقة!

وفي الغالب أنه في عودته لا يركب؛ لأن البعير عليه حمل لا يطيق معه شيئًا، فهل نعتبر ـ أيها القارئ الكريم ـ ؟! وهل هذه عيشة هنية في هذه الحياة؟»[2].

«وكان قوياً في تربية أولاده، لا يتسامح بشيء من أمور الدين، ولا يتغاضى عن خطأ في الصلاة أو طلب العلم، وكان شديد الحساسية عند اللحن في القراءة، لا يسمح لمن يقرأ عليه بشيء من اللحن، حتى إنه في مرضه الذي توفي فيه، وكان لا يستطيع الكلام، فإذا قرأ عنده قارئ

(١) ضحيكة: حي قديم من أحياء المذنب، وتكثر فيه النخيل.

(٢) من إفادات العم مقبل أثابه الله.

ولحن؛ اهتز جسمه لذلك! وكان سريع الدمعة من خشية الله، وكان كثيرًا ما يتمثل بهذين البيتين:

كفى حَزَناً بالدين أنّ حماته *** إذا خذلوه قل لنا كيف ينصرُ؟
متى يسلم الإسلام مما أصابه *** إذا كان من يُرجى يخاف ويحذرُ

وكان يكرر هذه الآية كثيراً: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٦٢، ٧٢].

وكان كثيرًا ما يقرأ هذه الآية ويبكي بكاءً مريرًا: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام:٤٤].

ومما حباه الله به رحمه الله: الكرم، يحب الأضياف، ويضيق صدره إذا لم يكن عنده ضيوف، وكان يقتني رعية من الغنم يعدّها لذلك، وكان في آخر حياته مجمعاً للمشايخ والزوار، ولا يخلو بيته من ضيف أو زائر، وأتذكر يوماً أنه اجتمع عنده في يوم واحد ـ مصادفة ـ زائرون من «الرياض» وزائرون من «بريدة» ومن «عنيزة»، أتذكر منهم ـ على بعد العهد: الشيخ عبدالرحمن الفريان رحمه الله، الشيخ عبدالرحمن بن حماد آل عمر رحمه الله، الشيخ إبراهيم بن عتيق رحمه الله، الشيخ أبو بكر الجزائري، الشيخ عبدالعزيز القويفلي، الشيخ عبدالله السليمان الحميد رحمه الله، الشيخ علي الغضية، وابنه الشيخ عبدالله، الشيخ عبدالله الزعاق رحمه الله، الشيخ عبدالعزيز العقل، الشيخ صالح المالك، الشيخ عبدالله الجلالي، الشيخ عبدالله الصايغ، الشيخ عبدالعزيز اليحيى، الشيخ عبدالرحمن بن عبدالعزيز الزامل،

الشيخ زامل الصالح، الشيخ عبدالرحمن الكغيل.

وكان يعتني بالأضياف، ويأمرنا بتوفير كل شيء لهم، من الطعام والشراب، والفراش للنوم، ويقدم لهم خير ما عنده من إنتاج المزرعة والفاكهة، وغير ذلك، ونحن ننفذ أمره ـ رحمه الله، ورحم أصحابه ـ» اهـ[1].

حفظ الله الأحياء منهم، ورحم الأموات، وجمعنا بهم في جنات النعيم.

(١) ما سبق من إفادات العم صالح أثابه الله.

عبـــــــادتـــــه

عبادته

العبادة سياجٌ رباني، وأمانٌ إلهي يحفظ الله به العبد ومن شاء الله من ذريته، وعصمة من الفتن بإذن الله، ففي الصحيح من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا»** رواه مسلم[1].

ومن تتبع تراجم الأئمة وأهل العلم المؤثرين، وجد أن العبادةَ ـ بأنواعها ـ قاسم مشتركٌ بينهم.

وقد سار على هذه الجادة الجد رحمه الله، فإن كلمة جميع من عرفوه تتفق على أنه ممن فُتِحَ عليه في باب العبادة، خصوصاً الصلاة وقيام الليل بشكل أخص، ومن المظاهر التي تدل على ما منّ الله عليه به في هذا الباب:

١ ـ شغفه بقيام الليل في الحضر والسفر:

وهذا أمرٌ مشهورٌ عنه جداً، يعرفه عنه كل من صحبه، ومن المواقف المعروفة عنه:

أنه قدم مرةً من الرياض إلى المذنب، ومعه بعض أولاده في الثمانينات الهجرية، وكان الخط المسفلت، ينتهي عند قرية يقال لها: خُرَيْسان[2] ،وكان الجهد قد بلغ بهم غايته، حتى إن مَن كانوا معه لم يصدقوا الوصول

---

(١) رواه مسلم (١٨٦).

(٢) قرية من أعمال منطقة السر، جنوب محافظة المذنب.

إلى الأرض لينامواا؛ فناموا ، فلما كان في آخر الليل احتاج أحد أبنائه[1] لقضاء الحاجة، فرأى الجدَّ رحمه الله قائماً يصلي!.

وكان الوالد كثير الحج والعمرة، ولم يترك العمرة في رمضان إلا بعد أن كبرت سنه، وصار السفر شاقاً عليه، وقد حظيتُ بمرافقته للعمرة في رمضان، والإقامة بمكة حتى نهاية الشهر.

ومن الأشياء التي لاحظها أبناؤه عنه: أنه لم يكن يكتفي بالقيام في الحرم، بل كان يقوم الليل من أوله وآخره في المنزل، وكان يطيل الصلاة جداً.

وذات مرة ذهبَ لصديقه سماحة الشيخ عبدالله ابن حميد[2] رحمه الله ـ حينما كان رئيساً لشؤون الحرمين ـ فقال للشيخ عبدالله: يا شيخ عبدالله، ترى بعض أئمة الحرم يلعبون بصلاتنا! وذكر بعض الأسماء في ذلك الوقت، فتبسم الشيخ عبدالله ، وقال: ما يكون إلا خير يا شيخ محمد![3].

وإذا رأيتَ العُبّاد يتعجبون من عبادة أحدٍ؛ فاعلم أنه قد بلغ من العبادة مبلغاً كبيراً!

---

(١) وهو والدي حفظه الله، وهو الذي حدثني بهذه القصة.

(٢) هو العالم المشهور، أحد أذكياء العصر، وفقهاء البلاد الكبار، تولى قضاء بريدة بعد الشيخ عمر ابن سليم، ثم رئاسة الحرمين، في مهام أخرى كثيرة، وقد كتب عنه الكثير، لكن أفضل وأجمع ترجمةٍ له حتى كتابة هذه الأسطر: هي الترجمة التي جمعها وأبدع فيها الشيخ/ سليمان بن محمد العثيم ـ أثابه الله ـ في ٤١٦ صفحة، بعنوان : "تاج القضاة في عصره سماحة الشيخ عبدالله بن محمد ابن حميد رحمه الله" طبعتها دار القاسم.

(٣) هذه القصة حضرها الوالد حفظه الله، وهو الذي حدثني بها.

حدثني فضيلة الشيخ د.محمد بن عبدالعزيز بن أحمد الخضيري[1]، أنّ جدّه الشيخ أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ[2] حدّثه قال: بِتُّ ليلة عند أو مع الشيخ محمد الصالح المقبل، فقمتُ **فقرأت خمسةَ أجزاء من القرآن، وهو قائم لم يركع بعد!**

ومما يوضح حبه لقيام الليل، أنه كان ينصح ويوصي من يراه بقيام الليل، ومن المواقف التي تدل على هذا: ما حدثني به فضيلة الدكتور تركي بن فهد الغميز[3]، عن عمه عبدالله بن صالح العثمان: أن الجدَّ رَحِمَهُ اللَّهُ زار والده (فهد رَحِمَهُ اللَّهُ) في «الشماسية» ـ قبل نحو من ٦٠ سنة ـ فسأله عن قيام الليل؟ فقال: يا شيخ أنا لا أقوم الليل! فقال له: عليك بالشاهي، فإنه يعينك على الانتباه!

الطريف في الأمر أن عم الدكتور تركي الآنف الذكر، كان يستمع لهذا الحوار، فاقتنص هذه الفائدة، وصار يقوم الليل منذ ذلك الموقف،

---

(١) هو الشيخ المعروف الذي قدّم برنامج (أفانين القرآن) ويشارك مع بعض إخوانه من طلاب العلم في تقديم برنامج (بيّنات) كلاهما على قناة المجد، وله مشاركات أخرى غيرها، أثابه الله وبارك في علمه وعمله وذريته.

(٢) هو الشيخ العابد أحمد بن عبدالله بن أحمد الخَضيري ـ بفتح الخاء ـ الحسني العَنَزي، من أهل الشقة ـ شمال بريدة ـ توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة ١٤٠٥هـ، ومن تلاميذ آل سليم، وقد رافق الجد في التلمذة على مشايخ آل سليم.

حدّثني د.محمد قائلاً: كان جدي يتعجّب من عبادة جدك، مع أن جدّي أحمد كان عابداً، فقد **كان يختم القرآن كل يوم، وفي رمضان يختمه ٦٠ مرةً، ويدخل الحرم مع هلال رمضان، ولا يخرج إلا إذا أكمل صيام الست من شوال!** ومع هذا فقد كان يتعجب من عبادة جدّك! رحمة الله عليهم أجمعين.

(٣) هو أستاذ مشارك في قسم السنة في كلية الشريعة بجامعة القصيم.

وحتى كتابة هذه الأسطر ـ وقد ناهز المئة ـ مع أن الخطاب لم يكن موجهاً له.

وحدثني الشيخ محمد بن إبراهيم الوهيد[1] **ـ حفظه الله ـ** أن الجد: ركب معه مرةً إلى بريدة برفقة بعض أبنائه ـ في السبعينات الهجرية ـ ، وكان الجو تلك الأيام بارداً، وفي طريقنا نمنا في مسجد بحي السادّة[2]، وفي تلك الليلة أنا لم أستطع النوم من شدة البرد؛ ولما قمت إذا بالشيخ قد توضأ من الماء البارد، وهو قائم يصلي!

ومما يبين شغفه بالصلاة، ما حدثني به العم علي حيث يقول: «كنت أذهب مع الأخ صالح بصحبة الوالد إلى بريدة، وذلك قبل وصول الإسفلت، وكنا نحتاج بعض الأغراض من السوق، وكان لا يحب دخول السوق، ويتضايق عندما نتركه ينتظرنا، ونحن نقضي بعض الحوائج اللازمة للمنزل!

ولما رأيناه تضايق من هذه الحال، كنا نتركه في أحد المساجد حتى ننتهي من السوق، **ونذهب وهو يصلي ونعود وهو يصلي**، وإذا كان في المسجد لم يكن يحاسبنا على الوقت أو يشتكي من التأخر عليه، بل نأتي وننتظره حتى ينتهي من الصلاة.

وأذكر مرةً، أنه أمّنا في صلاة الكسوف، فقرأ في ركعة واحدة سورتي هود ويونس[3]، إن لم يكن أكثر من ذلك»اهـ.

---

(١) هو أحد الرجال الأفاضل الذين كان الجد : يرتاح لهم كثيراً، وكان يركب معه كثيراً إلى بريدة، وعنيزة، ومكة في بعض الأحيان، متعه الله متاع الصالحين.

(٢) بتشديد الدال المهملة، وهو حي معروف ببريدة إلى اليوم.

(٣) وعدد صفحات هاتين السورتين قرابة ٢٨ وجهاً، أي: نحو من جزء ونصف.

٢ ـ حرصه على العمرة ـ وخصوصاً في رمضان ـ وصيام ما تيسر من الأيام في مكة شرفها الله:

وهذا معروف عنه رحمه الله ، فقد كان يصوم شهر رمضان في مكة، وصام معه أولاده سنوات عديدة حينما كانوا صغاراً.

وكان قبل أن يسافر يودع جماعة المسجد ويدعون له، ويدعو لهم، ويخبرهم بالمسيرة، وكان يعطف على المساكين والضعفاء، وربما رافقه بعضهم، أو أتى في آخر الشهر إلى مكة.

وحدثني الشيخ محمد بن إبراهيم الوهيد ـ حفظه الله ـ أنه سافر بالجد رحمه الله إلى مكة ست مرات كلها في رمضان، هذا سوى من ذهب به غيري من الإخوة أصحاب السيارات.

٣ ـ حرصه على الصدقة ، والعناية بالفقراء والمساكين:

«كان يحب الصدقة كثيراً ويتصدق سرًا وعلانية، ومن ذلك: أنه إذا كان معه نقود يعطيها أول من يقابله أو يصلي إلى جنبه.

وكان قبل صلاة الاستسقاء وبعدها يخرج الصدقة إلى الفقراء، وهناك مناسبات كثيرة كان يكثر فيها الصدقة، منها: الاستسقاء، وجداد النخل، وعندما يكون مريضًا، وعندما يشفى من المرض، وعندما يريد السفر، وعندما يعود من السفر، وعندما تتجدد له نعمة .. وغير ذلك كثير»[1] اهـ.

---

(١) من إفادات العم صالح أثابه الله.

«وكان يرافقه ـ في رحلته إلى مكة في رمضان ـ عدد من كبار السن، وبعضهم فقير، ومنهم من هو ضرير البصر، ويعطف عليهم، وكان يأخذ من القادرين زكاةً أو صدقةً، ويوزع على هؤلاء الفقراء، ويفرح كثيراً حينما يحصل على شيء يعطيهم إياه»[1] اهـ.

٤ ـ تعلقه بالقرآن:

العناية بالقرآن دأب الصالحين، والموفقين من عباد الله، وكم في القرآن من الثناء على هذا الصنف من الناس؟!

واحسب أن الجد رحمه الله من هذا الصنف.

وقد أدركتُ ـ على صغر سني حين أدركته[2] ـ شيئاً من هذا، فقد كنتُ إذا حضرتُ مع أترابي من أبناء العم وغيرهم، أول ما يطلب منا ـ فور تقبيل رأسه وجلوسنا ـ: اقرأ! وكنا نرهب السلام عليه خوفاً من هذا الطلب! ومع أننا لا نقرأ إلا من قصار المفصّل إلا أن هيبته رحمه الله تجعلنا قد نخطئ فيما لا يخطئ فيه عامة الناس عادة.

وأما عنايته بالقرآن فقد «**كان يختم القرآن كل ثلاث أيام، وفي رمضان في كل يومين**، وكان بعض عُبّاد أهل بريدة يعجبون من كثرة عبادته وهو شاب، حينما كان ساكنًا في منارة المسجد وقت طلبه للعلم»[3] اهـ.

---

(١) من إفادات العم مقبل أثابه الله.

(٢) توفي الجد وعمري نحواً من أحد عشر عاماً.

(٣) من إفادات العم صالح أثابه الله.

زهـــــــده وورعـــــــه

زهده وورعه

١ ـ زهده:

من تأمل في صفات سادات هذه الأمة في السابق واللاحق، وجدَ أنه ما ارتفع من ارتفع منهم إلا وهذه الخصلة موجودة فيه.

لم يفهم أولئك السادة ـ رحمات الله عليهم ـ أن الزهد هو تخلي الإنسان عما يملك! فقد كان سليمان وداود عليهما الصلاة والسلام أزهد أهل زمانهما، وقد ملكا الدنيا.

وقد كان النبيﷺ أزهد الناس، وقد تزوج من النساء تسعاً، وكان يحب الحلوى والعسل.

وكان عدد من أصحابه ـ وعلى رأسهم أبو بكر وعثمان ـ زهاداً كباراً، وهم من أغنياء الصحابة ﷺ، لكنهم ساروا بها على مراد الله سبحانه.

وهذا عمر بن عبدالعزيز لا يذكر الزهد إلا ذكر معه، وهو ملك الدنيا في عصره.

ولقد كان من نعم الله على الجدّ رحمه الله أن منّ عليه بالزهد في الدنيا، ومن عرف الجدّ رحمه الله أدرك هذه الصفة فيه بدون تكلف، والشواهد على ذلك كثيرة، منها:

* أنه رحمه الله كان قنوعا بالحد الأدنى من عيش الكفاف، لا يتطلع إلى شيء من زينة الدنيا وزخرفها.
* بقي جزءٌ من بيته آيلاً للسقوط ـ سقوطاً غير مهدد للأرواح ـ ومع

هذا لم يسمح بهدمه وإعادة بنائه حتى لقي ربه.

* لم يكن يسأل عن شيء من حطام الدنيا ألبتة، زاد أو نقص!

* يقول الشيخ عثمان الصالح رحمه الله: «وهذا الرجل[1] يتفق في نزاهته وعدالته وأمانته وصدقه مع الملك عبدالعزيز في ثقة من يختارهم وينتقيهم؛ لما فيهم من **الزهد في الدنيا، والحرص على حلِّ مشاكل الناس**، ...»[2].

* **وحدثني الشيخ ناصر السكران ـ حفظه الله ـ** قال: زارني الشيخ في بيتي الجديد بعد أن أكملتُ بناءه من البلك، فلما دخل قال: ما هذا؟ ليش تبني بيتك من البلك؟ لو بنيته من الطين أحسن! فتبسمتُ ومازحته قائلاً: أنا مثل ابنك صالح الذي بنى بيته من حجر، فسكت!

* "بقي راتبه التقاعدي مئات الريالات فقط، فكان الأخ مقبل يأتي به آخر الشهر، ويضعه في جيبه ولا يدري كم هو!

فإذا خرج إلى المسجد بدأ يوزع عن يمينه وعن شماله، على رجالٍ من كبار السن في روضة المسجد، من ذوي الحاجة، بل إن النساء والأطفال كان لهم نصيب من ذلك، حينما يحضرون للسلام عليه.

وأذكر مرةً أنني دعوته للغداء في مزرعته المعروفة بـ"اللصافة" والتي سبق أن كلّف بها فلاحاً ليصلحها، لكنه لم يقم بتلك المهمة كما

---

(١) يعني الجد رحمه الله.

(٢) من مقالته المشار إليها في جريدة الجزيرة، عن كتاب "المبتدأ والخبر" ٥/١٨٨.

ينبغي، فاستلمتُها، وأصلحتها، وصنعتُ عريشاً في ناحية من المزرعة مع ابن عمته ـ وهو والد زوجتي (إبراهيم بن حمد الناصر رحمه الله) ـ وبعض الخاصة، فلما تبوأ مكانه من العريش؛ تعجّب وقال: من أين لك هذا؟ وكيف أصلحتَ هذا؟ وهو يتحدث وكأن المزرعة لولده وليست له!

فهو ناسٍ أنها له! ولم ينتبه إلى أن دور ابنه كان دور المصلح لما لم يقم به ذلك الفلاح![1].

* ويحدثني العم مقبل قائلاً: سألني أبي عندما انتقلت إلى بريدة: كم معاشك؟ فقلت له: ١٢٠٠ريالاً، فوضع يده على رأسه وقال: اللهم صلِّ على محمد! ماذا تفعلون بهذه الدراهم؟!.

٢ ـ ورعه:

الورع من الصفات التي لا ينبل قدر العالم إلا بها، وكان السلف شديدي العناية بهذا الأمر، حتى قال الضحاك رحمه الله : «أدركنا أصحابنا وما يتعلمون إلا الورع»[2] .

وكان للجدّ رحمه الله نصيبٌ من ذلك، فمِن أجْلى صوره التي قد يتهافتُ عليها صغار الطلبة، وضعاف العلم: **تورعه عن الفتوى**؛ فقد كان يتهرب منها، ولا يكاد يفتي أحدًا إلا عند الضرورة، وكان يحيل الناس الذين يسألونه إلى بعض العلماء في وقته.

---

(١) من إفادات الوالد أثابه الله.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة رقم (٣٤٩٥٠).

تربيـــتـــه لأولاده

تربيته لأولاده

لكل أب طريقته في تربية أولاده، ولقد كان الجد رَحِمَهُ اللَّهُ ممن سلك أسلوب الحزم الذي قد يراه بعض الناس شدةً، لكنه رَحِمَهُ اللَّهُ كان يرى أن ذلك الحزم أنفع في تربية أولاده، ويمكن إجمال طريقته في تربيته ومنهجه فيها في الأمور التالية:

* كان رَحِمَهُ اللَّهُ لا يقبل ولا يرضى لأولاده إلا معالي الأمور، فربّاهم ـ كما يحرص كثير من الآباء ـ على صحبة الرجال، وغشيان مجالسهم، وعلى الكرم والجود، ، وعلى محاسن الأخلاق، وربما اعترته حدةٌ وغضب عند وقوع ما يضاد ذلك.

* وكان الجد رَحِمَهُ اللَّهُ شديد الحرص على اصطحاب أبنائه ـ رغم صغر سنهم ـ إلى مجالس الكبار؛ ليستفيدوا أموراً كثيرة لا تكتسب جميعاً بالتلقين.

* وقد كان الجدّ في ذلك الوقت يُنْتَقَدُ على اصطحاب أبنائه الصغار في مجالس الكبار! لكنّ الثمرة ظهرتْ بعد ذلك، بل إن أحد الذين كانوا ينتقدونه في ذلك؛ صارح بعض الأعمام ـ لما كبروا ـ قائلاً: لم ندرك قيمة صنيع والدكم رَحِمَهُ اللَّهُ إلا يوم كبر أولادنا وكبرتم أنتم ، أو نحو هذه العبارة!

* ومن الأمور التي كان الجدُّ يحرص عليها في تربية أولاده: **إلزامهم بحضور حلقة الدرس في المسجد**، وتدريبهم على القراءة في كتب

أهل العلم، ويمتد هذا الحرص إلى تدريبهم على القراءة في المجالس التي يغشاها.

وسلفه في ذلك صنيع المحدثين، وفي ذلك يقول ابن الصلاح رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «علوم الحديث»: «ولم يزالوا قديماً وحديثاً **يحضرون الصبيان مجالس التحديث والسماع** ...»[1].

ولذا فإن مَنْ يصحبه من الأعمام إلى مجلس من المجالس؛ فإنه يدرك أنه سيقرأ في المجلس، فإن كانوا مجموعة اختار واحداً منهم، وغالباً يكون الأكبر منهم.

* ومن الأمور التي كان الجدّ حريصاً عليها ـ في تربية أولاده ـ:

ربطهم بالمسجد، من خلال الالتزام بحضور مجالسه العلمية، والتدرب على القراءة، وعدم السماح بالتخلف عن صلاة الجماعة، ولا عن الدروس العلمية التي تقام في المسجد إلا لعذر.

ومن المواقف التي تؤكد حزمه في هذا؛ ما حدثني به العم علي ـ حفظه الله ـ حيث قال:

« عندما كنت صغيرًا في السن ـ ما بين السادسة والسابعة ـ وبدأت ألتحق بالحلقة، قلت لوالدتي ـ رحمها الله ـ وكان الوالد له هيبة لا أستطيع مواجهته بطلبي هذا ـ : قولي لأبي: أنا لا أستطيع الدراسة

(١) علوم الحديث: (١٢٨) ، وقد جاء في ترجمة الحافظ السيوطي (ت: ٩١١) أن والده كان يصطحبه إلى مجالس الحافظ ابن حجر وهو ابن ثلاث سنين.

في المدرسة، والانتظام بالحلقة، وكل يوم أسأل الوالدة: هل قلت له؟ فتقول: لا، وكانت تتحين الفرصة؛ لأنه كان مهيبًا، وبعد عدة أيام قلت لوالدتي: هل قلت لأبي؟ فقالت: نعم، فقلت: ماذا قال؟ وكنتُ متشوقاً لإعفائي من أحد الأمرين، الحلقة أو المدرسة! فقالت لي: يقول أبوك: **يلتزم بالمدرسة والحلقة، وإلا العصا موجود، ولا عندي غير ذلك!** عند ذلك التزمت بالجميع، وكان الخير في ذلك؛ لأني أعرف قوته وتصميمه رَحِمَهُ اللَّهُ» اهـ.

* ومن الأمور التي كان يحرص عليها في تربية أولاده:

اصطحابهم معه عند زيارة المشايخ في القصيم أو خارجها[1]، مما أكسبهم أموراً كثيرة من العلوم النافعة، والتعرف على العلماء والعُبّاد والصالحين، ظهر أثرها فيما استقبله هؤلاء الأبناء بعد عشرات السنين من وفاة والدهم ـ رحم الله الأموات وبارك في الأحياء ـ في لقياهم لأولئك المشايخ والعباد الذين فسح الله في آجالهم.

ويمكن تلخيص كثير من هذه المعالم التربوية التي حرص الجد رَحِمَهُ اللَّهُ على تربيتهم عليها بالآتي:

١- المحافظة على الصلوات في أوقاتها مع الجماعة.

٢- توقير العلماء واحترامهم، وإكرامهم.

---

(١) سبق الحديث عن هذه الزيارات في الكلام على مشايخه وزملائه.

٣- السمع والطاعة لولاة الأمور بالمعروف.

٤- صلة الأرحام، وزيارة الأقارب، وهذا شيء ربانا عليه بفعله أكثر من قوله.

٥- الإحسان إلى الناس بكل ما نقدر عليه، سواءً بالمال، أو بالشفاعة الحسنة» اهـ[1].

وقد توفي الجد رَحِمَهُ اللَّهُ **عن تسعة أولاد:** ستة أبناء، وثلاث بنات، وهذا ترتيبهم حسب السن:

١- نورة، وزوجها: محمد بن إبراهيم العضيبي رحمهما الله.

٢- مريم رحمها الله، وزوجها: حمد بن علي العويد.

٣- مقبل .

٤- عبدالله.

٥- منيرة، وزوجها: عبدالرحمن بن صالح القويفل رَحِمَهُ اللَّهُ .

٦- حسن.

٧- صالح.

٨- سليمان.

٩- علي.

رحم الله الأموات، ومتّع الأحياء بالصحة والعافية، وأصلح لهم نياتهم وذرياتهم.

---

(١) من إفادات الوالد أثابه الله.

مواقف طريفة في حياته

مواقف طريفة في حياة الجدّ

حياة الحزم والجدية التي عرف بها الجدّ رحمه الله ، لم تخل من مواقف طريفة تقع عفواً، ومن هذه المواقف التي حدثني بها الوالد، وبعض الأعمام:

١- من ضمن الزيارات التي كان الجدّ رحمه الله يرتبها في برنامجه الأسبوعي وربما الشهري: زيارة أحبابه وأقاربه، ممن هم خارج حيه الذي يسكن فيه.

وممن كان يزورهم رحمه الله: ابن خالته الشيخ عبدالرحمن العبود بـ«الهيشة»[1]، وغالبًا ما تكون الزيارة بعد العصر، وكان معروفاً بدماثة الأخلاق، كثير التبسم رحمه الله.

ولما زاره الجدّ مرةً من المرات بصحبة بعض أولاده ، وبعد السؤال عن الحال والأولاد، قال الجد لمن يرافقه ـ كعادته في أنه قلّما يجلس مجلسًا إلا وفيه قراءة من كتاب، مهما كان الوقت ضيقًا، ولو يسيرًا ـ: ابدأ، يعني بالقراءة، فأمسك الشيخ العبود الكتاب، وقال -باللهجة العامية-: والله ما (يِتفَلْهَم)[2] بها! أي لا يقرأ، هل جئت زائرًا أم جئت لتقرأ؟!

(١) هو اسم للمكان الذي فيه مزرعته.

(٢) أي: لا ينطق ولا بكلمة واحدة من الكتاب الذي بيده.

أريد (أسولف) [1] معك، فضحك الوالد ـ رحمهما الله ـ ولم يقرأ»[2].

٢- ومن المواقف الطريفة؛ ما ذكره العم علي ـ وفقه الله ـ حيث يقول: بعد رجوعنا ذات مرة من صلاة المغرب كنت بصحبته وأنا في مقتبل العمر، فكان رحمه الله يقول ـ ونحن عند بداية الدرج ـ: نريد نتسابق؟ فأقول: نعم، ونصعد جميعًا إلى المجلس الأعلى في المنزل القديم، قبل أن يهدم.

(١) يعني : أريد أن أتبادل معك أطراف الحديث الحديث.

(٢) حدثني بها الوالد وغيره من الأعمام.

مسيرة العمل الوظيفي

مسيرة العمل الوظيفي

أولاً: توليه للقضاء[1]

في سنة ١٣٤٦هـ صدر أمر الملك عبدالعزيز رحمه الله إلى الشيخ عمر بن محمد ابن سليم رحمه الله بأن ينتقي أربعين من طلبة العلم؛ لبعثهم للدعوة والقضاء في الحجاز، وتهامة، وما حاذى تلك البلاد ـ بعد أن وحدها الملك عبدالعزيز ـ، فما كان من الشيخ عمر رحمه الله إلا أن اختار هذا العدد، وكان الجد ـ وبتوجيه من الشيخ عمر ابن سليم رحمهما الله ـ[2] هو أمير الركب، مع أنه كان يكره ذلك.

ولّما علم الجميع بتأميره عليهم داعبه بعضهم فقال: هل من المعقول أن يتأمر راعي المذنب على أهل بريدة؟!

وكانت قافلة القضاة هذه خليطاً من مدن القصيم: «بريدة» و«عنيزة» و«الخبراء» و«البدائع» و«الرس»، ومن طوارف القصيم الأخرى.

سار الركب الميمون إلى حيث وجهته، بعدما أمنّت لهم الحكومة الركائب، والمتاع، والأدلاّء على ظهور الإبل، وساروا حتى وصلوا مكة، ومن مكة تم توزيعهم على المناطق المقصودة بالتوجيه، الذي صدر من الملك رحمه الله .

---

(١) أغلب الإفادات المتعلقة بمسيرة الجد القضائية من العم مقبل سلمه الله.

(٢) ومن اللافت للنظر: أن تعيين الجدّ رئيساً عليهم تمّ بعد مغادرتهم بريدة، فطلب الشيخ عمر ابن سليم من أمير القصيم آنذاك ـ وهو عبدالله بن فيصل بن فرحان رحمه الله ـ أن يرسل أحد خوياه، ويبلغ الركب بذلك، فأرسل أحد رجاله وأبلغوهم بهذا التوجيه.

وكان نصيب الوالد (القنفذة)[1]، وبقي فيها أربع سنوات قاضيًا ومعلمًا وموجهًا ومصلحًا وعاقدًا للأنكحة، وقد بقي تلك السنوات على مضض[2]؛ إذ لم يناسبه هواؤها، ولا جوّها.

وكان أمير القنفذة آن ذاك فهد ابن زعير رحمه الله ، وكان الوالد يثني عليه كثيرًا.

وقد رافق الوالد مجموعة من المشايخ والإخوان والأصحاب، منهم:

١ ـ الشيخ سليمان بن علي الحسياني رحمه الله.

٢ ـ محمد بن حسن العثمان[3] القويفلي رحمه الله يصرف لهم رواتب[4].

والأمير لم يقصر مع الجميع ـ كما يقول الجد، رحم الله الجميع ـ في إعطائهم بعض الأطعمة.

ولقد كان من توفيق الله للملك عبدالعزيز رحمه الله أَنْ بعث هؤلاء إلى

---

(١) وهي الآن محافظة ، تتبع منطقة مكة المكرمة إدارياً منذ نشأتها، وتبعد عنها بمسافة قدرها ٣٥٠ كم تقريباً جنوباً، وتقع شمال منطقة جيزان بمسافة قدرها ٤٠٠ كم تقريباً، أي أنها تقع في منطقة وسط بين مكة المكرمة وجيزان ، وتقع غرب مدينة أبها.

(٢) كما يقول العم مقبل سلمه الله.

(٣) عثمان هذا ـ جد محمد ـ هو أخو مقبل ، الذي هو جد الجد رحمه الله .

(٤) وكان ـ كما أفاد العم مقبل ـ يعمل بدون راتب، ولكن الوالد عطف عليه وأخذه معه لوفاة والده وفقره، فسمع مدير المالية قراءته، وأعجب بها، فسأل الوالد: هل رتب له شيء؟ فقال: لا! ففرض له راتباً، وكان مديرو المالية في ذلك الزمان لهم مكانتهم.

تلك الأماكن التي يغلب على أهلها الجهل، وتنتشر فيها بعض البدع، فنفع الله بهم خلقاً كثيراً[1].

وفي حدود سنة ١٣٥٠ عاد الجد رحمه الله إلى بَلَدِهِ المذنب، حيث عين قاضيًا فيها، وبقي حتى سنة ١٣٥٦هـ.

وفي أواخر سنة ١٣٥٦هـ جاءت برقية لأمير القصيم عبدالله بن فيصل من الملك عبدالعزيز يأمره فيها بمخاطبة الجد يستحثه فيها على مقابلة الملك، وعلى الفور توجه الجد إلى الرياض، وطلب منه الملك أن يتوجه إلى نجران؛ ليكون قاضياً هناك.

وافق الوالد سمعاً وطاعة لولي الأمر، وطلب منه أن يكون التوجه بعد الحج من هذا العام ـ عام ١٣٥٦هـ ـ.

وبعد الحج تمت مقابلة الملك عبدالعزيز بمكة، وجلس معه وأوصاه الملك بوصايا، منها أنه قال له: «**احذر! فمهما عملت من أعمال فلن يصلني من ذلك إلا ما قد يلفت النظر**[2]**، والاتصال بيني وبينك مهيأ ومباشر**».

وقد زوده بشفرة (سرية) بينه وبينه، وكان محمد الحسن العثمان القويفل ـ وهو من تربى في بيت الوالد أو قريبًا منه، حيث توفي والده وهو صغير ـ كان هو الذي يفتح تلك الشفرة.

---

(١) في كتاب شيخنا الجليل عبدالله بن عقيل (فتح الجليل في ترجمة وثبت شيخ الحنابلة عبدالله بن عبدالعزيز ابن عقيل) ص: ٥٢ - ٦٣، ٢٨٠، عرض يكشف شيئاً من طبيعة الرحلة، وبعض الأخبار التي تكاد تكون مشتركة في تفاصيلها العامة.

(٢) ومراد الملك رحمه الله بذلك: أن العمل الحسن قليلاً ما يتناقله الناس، وإنما يتناقلون الكلام الذي يلفت الأنظار سواء كان سيئاً أو مخالفاً للمألوف، إلا من رحم الله.

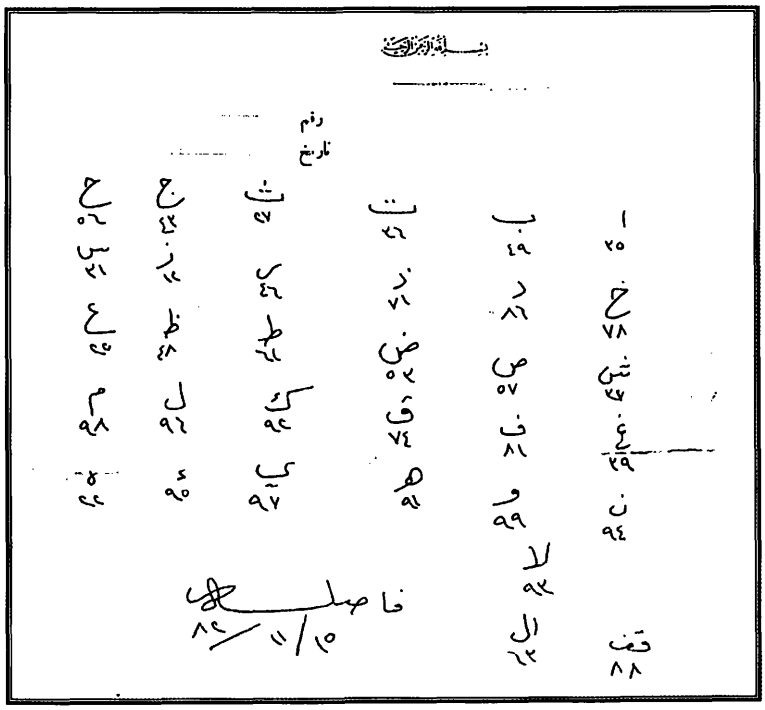

نموذج من الشفرات التي كان الملك عبدالعزيز يستعملها في مراسلاته مع القضاة والأمراء

وبقي هناك في نجران مدة أربع سنوات، زار المذنب خلالها مرةً واحدة فقط ولمدة شهر، وتعرض خلالها لسرقة، ومحاولة قتل، وسيأتي مزيد من التفصيل عنها، عند الحديث عن أخباره في رحلته إلى الجنوب ـ إن شاء الله ـ.

وقصة الاستئذان ـ في الذهاب لمدة شهر ـ وقعت حين التقى الجدُّ بالملكِ عبدالعزيز في حج ١٣٥٧هـ، وطلب منه أن يعفيه من قضاء نجران، وقال له بالحرف الواحد: «**أنا داخلٍ على الله ثم عليك، إلا أعفيتني من قضاء نجران**»!

فرد عليه الملك عبدالعزيز: «**وأنا داخلٍ على الله ثم عليك، ألّا تطلب هذا الطلب**»! ثم أثنى على الجدّ ـ رحمهم الله جميعًا ـ، وقال له الملك: «**أنت كفيتني بنجران ما لم يكفني أحدٌ قبلك**»!

فسكت أمام ذلك، وقال: أريد أن تأذن لي بزيارة الوالدين، فقال: لا بأس، ولمدة شهر واحد فقط، ويشير بأصبعة السبابة.

فوافق الجد، وطلب سيارة وخيمة توصله إلى المذنب، فأمر الملك بسيارة، وكان التنفيذ سريعاً، حتى إن الجدّ رحمه الله تعجب من ذلك، وقال: ما وصلت بيتي إلا والسيارة عند البيت! وكانت العادة أن السيارة لا تأتي بهذه السرعة[1].

فسافر إلى المذنب، ومعه رفقاؤه، وحملوا معهم عدداً من الحجاج الذين انقطعت بهم السبل بعد الحج، حيث حجوا على رواحل وتقطعت بهم السبل، واعتبروا ذلك فتحاً من الله، رحم الله الجميع.

وبعد شهر جاءت برقية لأمير القصيم أن يرحل الوالد ورفقاؤه إلى الرياض؛ حتى يسافروا إلى نجران، وحصل ذلك[2].

---

(١) هكذا كان الجد يحدث العم مقبل بهذا الخبر؛ لخروجه عن المألوف.

(٢) انتهى كلام العم مقبل عن هذه المرحلة، ويلي ذلك كلامه على قصة توليه لقضاء العقلة.

ثانيا: توليه لقضاء عقلة ابن جبرين[1]

بعد أن أنهى علاقته بقضاء نجران في نهاية ١٣٥٩ ومطلع ١٣٦٠هـ، جاء توجيه من الملك عبدالعزيز بالتوجه إلى عقلة ابن جبرين ـ جنوب غرب حائل ـ .

ووصلها الوالد في مطلع عام ١٣٦٠هـ وبقي قاضيًا فيها حوالي ١٥ عامًا؛ لأنه نقل منها إلى المذنب في عام ١٣٧٥هـ.

منظر عام من الجهة الشرقية لقرية «عقلة ابن جبرين» القديمة التي كان يقضي فيها المترجم له (التقطت الصورة عام ١٤٣٠هـ)

(١) عقلة ابن جبرين قرية كبيرة تنسب إلى مؤسسها وشيخها ملبس ابن جبرين رحمه الله ـ أحد كبار شيوخ عَبْده من شمر، أسسها عام ١٣٥٤هـ، وتقع جنوب غرب حائل بنحو ٦٠ كم.
وما زالت هذه الإفادات عن حياته القضائية في عقلة ابن جبرين من العم مقبل أثابه الله.

وفي عام ١٣٦٦هـ تقريباً جاء أمرٌ من ولي العهد آنذاك ـ الملك سعود رَحِمَهُ اللَّهُ ـ عن طريق أمير حائل عبدالعزيز بن مساعد رَحِمَهُ اللَّهُ بأن يتوجه قاضي العقلة: محمد ابن مقبل مع عمال جباة الزكاة؛ ليكون مفتيًا ومرشدًا لهم، إذ كان العمال يأتون من الرياض، ثم يسيرون من حائل وفق توجيهات الأمير ابن مساعد رَحِمَهُ اللَّهُ.

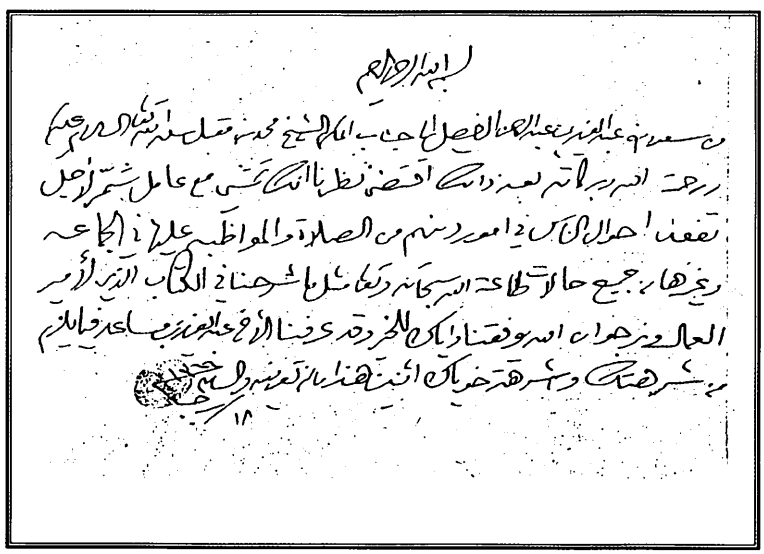

صورة من تكليف الملك سعود للمترجم له بالذهاب مع عامل شمر، لتفقد أحوال الناس الدينية

وتوجهنا[1] مع العمال شهرين كاملين، في أشد أشهر الحر، وكانت موافقة لشعبان ورمضان، وكان الشهر الأول على الإبل، وسيرًا في الليل وأطراف النهار، وإذا حصل إقامة فهي على الموارد، ومكان تجمع البادية، والشهر الثاني جيء لنا بسيارات رديئة، ولكنها كانت نقلة جيدة بالنسبة للإبل!

(١) والكلام للعم مقبل سلمه الله.

ودخل رمضان ونحن في السفر، وكان مع الوالد اثنان من الإخوان، أحدهما يدعى: غازي المطر ـ من أهل العقلة ـ، والثاني: غازي المحمد ـ وهو من أهل «الصنينا» ـ وكلاهما من شمر، وكانا يصومان مع الوالد في اليوم الشديد الحر، هذا إذا كنا مقيمين على أحد المياه، ولا يأتي آخر النهار إلا وقد أصابهما تعب شديد، مع أنهما مُخيّران في الصيام!

ومضت الأيام، وحتى عام ١٣٧٤هـ والوالد في قضاء العقلة يبقى بها ستة أشهر أو سبعة أو ثمانية في السنة، ويعود للمذنب بإذن من أمير حائل عبدالعزيز بن مساعد رَحِمَهُ اللَّهُ ؛ لأنه ليس في «العقلة» أي مشاكل؛ لصدق تدينهم ـ ولا نزكيهم على الله ـ.

وكان زعيمهم الشيخ: مليس بن جبرين ، من قبيلة (شمر) من (عبده) وهو عَيْبَةُ نصح[1] للملك عبدالعزيز[2].

وكان ملبس هذا ممن يستشيرهم الملك عبدالعزيز، وقد أَدركتُه مريضًا لا يعرف إلا قليلاً، أو على الأقل لا يتكلم رَحِمَهُ اللَّهُ[3]، وإذا دخلت عليه مع والدي ـ وهو على فراش المرض ـ يشير إلى زوجته أم عبدالله ـ رحمها الله ـ أن تعطيني شيئًا، وأنا في ذلك الوقت صغير وفي سن لا تحتجب عني أم عبدالله.

---

(١) أي: موضع السر، مأخوذ من عيبة الثياب وهي ما تحفظ فيها، ومنه قولهم: "عيبة نصحي" أي موضع سري وأمانتي.

(٢) وقد توفي في حدود عام ١٣٧٤هـ كما أفاده العم مقبل أثابه الله.

(٣) وما زال الكلام للعم مقبل سلمه الله .

وكان أهل العقلة فقراء جدًا، وكنا نفرح ـ إذا كان عند ملبس ضيوف ـ حتى نشبع تِمّن[1] وغالباً ما يكون فيه ذبيحة، وضيوفهم كثيرون، وغيرنا من سكان العقلة يفرحون كثيراً ـ وسكانها قليلون ـ وفي تقديري أنهم في حدود ٣٠٠ - ٤٠٠ نفر، على امتداد الوادي، وهم من شمر، ومن عَبْده، ومن الجِندَه، ومن السّعيّد، ومَنْ سواهم قليل» اهـ.

وقد حدثني غربي بن نحيطر رحمه الله ـ حين زرته عام ١٤٣٠ هـ ـ أن الجدّ **هو آخر قاضٍ جاء إلى العقلة**، فمنذ أن غادرها لم يأت إلى العقلة أي قاضي، إنما جاء بعده مطوع[2] من أهل قفار يقال له: ابن عيادة رحمه الله.

ثالثا: إحالته على التقاعد

كان الوالد رحمه الله يحاول الإحالة على التقاعد ـ وكان مُرَتّبه في تلك الفترة قليلاً ـ، ويتضح ذلك من بيان خدمته، وشاء الله أن يتأخر طلبه حتى صنف القضاة على المرتبة الخامسة، وهي قفزة بالنسبة لهم.

وكان رحمه الله يبرق لرئيس القضاة في ذلك الوقت: سماحة الشيخ محمد ابن إبراهيم، ويتوسط بالأمير عبدالعزيز بن مساعد، وبالشيخ عبدالله بن حميد ـ رحم الله الجميع ـ وتم له ما أراد في عام ١٣٧٩هـ في جمادى الثانية، واعتبر تقاعده، اعتبارًا من: ١/ ٧/ ١٣٧٩هـ.

---

(١) والتمن نوع من الرز العراقي.

(٢) أي: إمام مسجد.

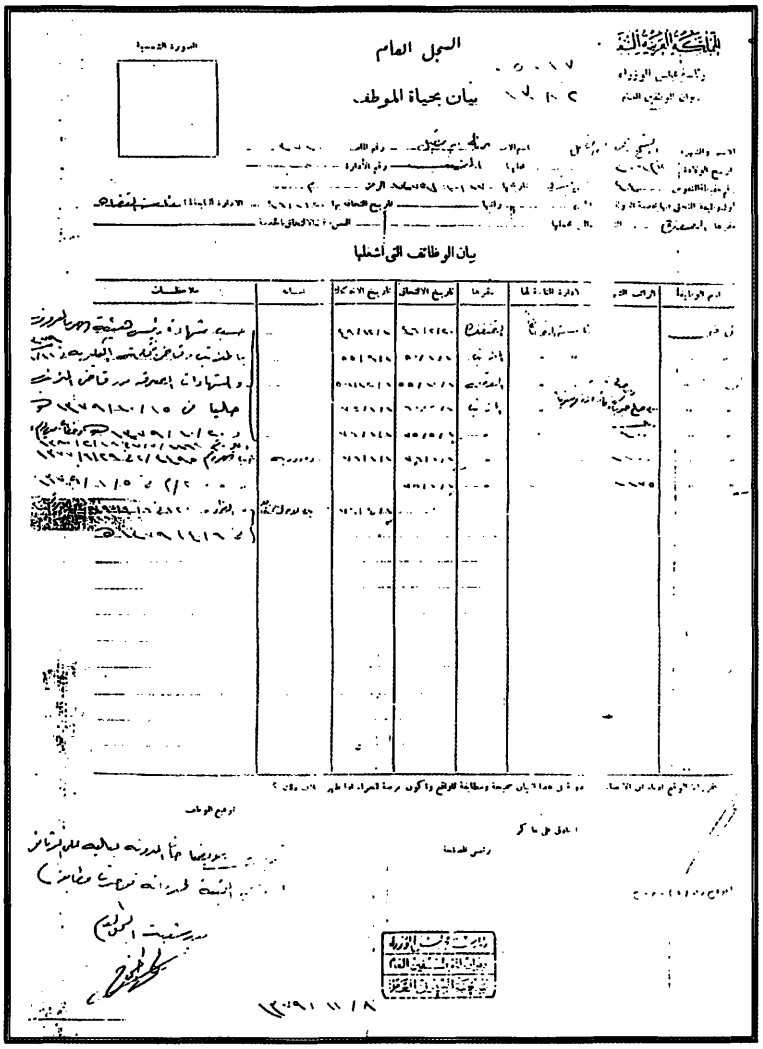

السجل العام

بيان بحياة الموظف

بيان الوظائف التي أشغلها

صورة من بيان خدمة المترجم له في العمل القضائي

مجلس قضائه ومنهجه في القضاء

مجلس قضائه، ومنهجه في القضاء

من المعلوم أن مجلس القضاء في السابق ـ أي: قبل إنشاء المباني الحكومية للمحاكم ـ كان المسجد، أو في المكان الذي تعرض فيه الخصومة، وقد يكون هذا المكان هو الطريق من البيت إلى المسجد [1].

ومن أهم الأسباب التي سهّلت إنهاء الخصومات: أن الخصوم غالباً جاءوا لطلب الحق، ولديهم من الاستعداد للتنازل والتصالح ما لا يوجد في كثير ممن جاء بعدهم، بخلاف كثير من الخصوم اليوم الذين يأتون وأحدهم يكاد يجزم بمعرفة الحال، لكنه على مبدأ : إن حصّلتُ شيئاً، وإلا فلن أخسر شيئاً ـ والعياذ بالله ـ!

وما علم هذا النوع من الناس، أنهم بإشغال القضاة، وإلحاق الأذى بالخصوم، أو إشغالهم عن أمورهم، أو تكدير صفوهم، أنهم في ذلك كله آثمون مأزورن.

ولم يكن الجدّ رَحِمَهُ اللَّهُ ببدع من الحال التي درج عليها قضاة عصره، فقد كان يقضي في المسجد، وربما قضى في غيره.

حدثني العم: سليمان بن إبراهيم الشايع رَحِمَهُ اللَّهُ (ت:١٤٣١هـ) أنه جاء إلى الجدّ وهو في «الديرة»[2] بغية إيصاله إلى «الشورقية»، وبينما أنا

---

(١) وقد حدّث الثقات أن شيخ الجد: عمر ابن سليم ـ رحمهم الله جميعاً ـ كان ربما قضى بأكثر من قضية في ذهاب واحد وإياب واحد من البيت إلى المسجد.

(٢) إذا أطلقت الديرة في ذلك الوقت، فالمراد بها المكان الذي يضم الجامع القديم ـ والذي لا زال قائماً إلى اليوم وتصلى فيه الأوقات والجمعة ـ وسوق البلد، ومجمع بيوت أكثر الناس في ذلك الوقت.

قادم لإيصاله، وإذا باثنين يأتيان للشيخ بينهما خصومة يريدان أن يقضي بينهما، فقضى لهما في غضون دقائق تحت منارة الجامع القديم.

وهكذا كان شأنه في العقلة، كما حدثني من لقيت من بقايا الرجال من أهل العقلة، مثل: جارد الشريهي، وغربي بن نحيطر الشمري رحمه الله.

أما منهجه في القضاء:

فالقضاة ـ كما هو معلوم ـ لهم طرق ومناهج في فصل النزاعات، فمنهم من يرجح القضاء الملزم قطعاً للنزاع الذي قد يقع مستقبلاً، ومنهم من يختار الصلح ما أمكنه ذلك، وهذا ما كان يختاره الجدّ رحمه الله.

إذْ كان من منهجه رحمه الله ترجيح الصلح على القضاء الملزم، ولهذا بقي في عقلة ابن جبرين خمسة عشر عاماً، لم يقض سوى في **عشر قضايا مُلْزمة**، والباقي كان يحلها صلحاً، ولعله رحمه الله كان يأخذ بعموم قوله تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢١]، والله أعلم.

رحلته إلى جنوب المملكة

رحلته إلى جنوب المملكة

لما عزم الملك عبدالعزيز رحمه الله على توطين البادية بالهجر[1]، وكانت كل هجرة تحتاج إلى إمام[2] يؤمهم في الصلاة، ويعلمهم أركان الإسلام وما يحتاجون إلى بيانه من أمور دينهم، ويعقد لهم الأنكحة، ويصلح ذات بينهم؛ كانوا يختارون من طلبة العلم من يرون فيه صلاحاً لذلك.

وقد سبق أن الملك عبدالعزيز رحمه الله أوعز إلى الشيخ عمر ابن سليم أن يختار مجموعة من طلاب العلم ليتولوا هذه المهام، وكان الجد رحمه الله ممن أُلِحّ عليه في هذا، فوافق، فتم تعيينه رئيساً لمجموعة من القضاة وطلاب العلم، وكانوا أربعين نفساً، والذين تفرقوا في تلك المنطقة الواسعة حسب توجيه ولاة الأمر.

*** القنفذة:**

كانت القنفذة أول بلدٍ ينفذ فيها ما أوكل إليه من أعمال من قبل ولي الأمر، وكان تعيينه فيها رسمياً[3] بتاريخ ٢٠/ ٢/ ١٣٤٦هـ.

وقد بقي فيها نحو أربع سنوات قاضيًا، ومعلمًا، وموجهاً، ومصلحاً، وعاقداً للأنكحة، بقي تلك السنوات على مضض ـ كما سبق

---

(١) كتب الكثير حول هذا الموضوع، ومن المقالات التي تلخص هذا الهدف الاستراتيجي عند الملك عبدالعزيز رحمه الله، للكاتب محمد بن عبدالعزيز الفيصل، بعنوان: «توطين البادية في عهد المؤسس»، جريدة الجزيرة، عدد ٢٤/ ٨/ ١٤١٩هـ.

(٢) وهو في عرف أهل نجد وبعض المناطق الأخرى (المطوع).

(٣) كما في مسيره الوظيفي.

ذلك في الحديث عن توليه للقضاء ـ وانتهت فترته القضائية فيها في ١/ ١٢/ ١٣٤٩هـ[١].

*** نجران مرورا بأبها:**

وفي مطلع سنة ١٣٥٠ عاد إلى المذنب، حيث عين قاضيًا في بلده بتاريخ ١/ ١/ ١٣٥٠هـ، وبقي قاضياً فيها حتى ١/ ٩/ ١٣٥٥هـ[٢].

وفي عام ١٣٥٦هـ طلب الملك عبدالعزيز حضوره، وذلك في أواخر سنة ١٣٥٦هـ، إذ جاءت برقية لأمير القصيم يأمره فيها أن يخاطب الوالد بأن يقابل الملك عبدالعزيز، وقد توجه إلى الرياض وطلب منه أن يوافق على التوجه إلى نجران قاضيًا، ووافق الوالد، استجابةً لأمر ولي الأمر، وطلب منه أن يكون التوجه بعد الحج من هذا العام.

وفعلاً بعد الحج قابل الملك عبدالعزيز بمكة وجلس معه وأوصاه الملك ـ رحم الله الجميع ـ بعدة وصايا، سبقت الإشارة إليها في الكلام عن مسيرة عمله الوظيفي.

وفي طريقه إلى نجران، مرّ بمدينة أبها ـ وكانت آنذاك بالقرى أشبه منها بالمدن ـ.

---

(١) كما في مسيره الوظيفي.

(٢) كما في مسيره الوظيفي.

وقد حدثني الشيخ: محمد بن صالح الشبل رَحِمَهُ اللَّهُ[1] ـ وهو أحد مرافقي الجد رَحِمَهُ اللَّهُ ـ أنه بقي في أبها [٢١] واحداً وعشرين يوماً، وفي أثناء تلك الأيام تزوج جدتي شريفة العلكمي ـ رحمها الله ـ ومن ثمّ رحل بها إلى نجران، وهناك ولد له مقبل وعبدالله ـ حفظهما الله ـ.

وفي يوم من الأيام ـ وهو في قضاء نجران ـ طلبه الملك عبدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ ـ وهو داخل إلى المسجد ـ في أحد الأوقات، فجاء إليه صاحب البرقية يقول له: يا شيخ، الملك على المكينة يريدك!

فقال: قل له: إننا في المسجد للصلاة!

فكرر عليه: يا شيخ، الملك! الملك!

فقال له: نحن أمام ملك الملوك، قل له: إنهم يصلون، وذهب، فرجع وأخبر الملك بذلك.

وعندما انتهى الوالد من صلاته ذهب إلى مكتب مدير البرقية.

وكان مكان البرقية في القصر الذي فيه الأميرُ والوالدُ، وبيتُ المال، والشرطةُ ـ كلهم جميعًا ـ ومع هذا لم تمنع هذه الحصانة الحسية والمعنوية أن يُهَدِّدَ الجدّ رَحِمَهُ اللَّهُ، حيث سُرِقَ منزله مع وجود كل هؤلاء المجموعة في القصر.

وأيضًا أصحاب الوالد ـ الذين بعثوا معه كانوا مسلحين وساكنين

---

(١) توفي في ١٣/ ٩/ ١٤٣١هـ عن عمر يناهز المائة، وهو ابن خال الجد، فصالح العثمان الشبل هو أخو حصة بنت عثمان الشبل والدة الجد رحم الله الجميع ـ.

في القصر ـ منهم: ابن خال الوالد محمد بن صالح الشبل[1]، وعبدالله بن محمد الصالح الناصر، وإبراهيم الحمد الناصر[2] ـ رحم الله الجميع ـ.

وأما محمد الحسن العثمان، وعبدالكريم الجريد[3] ـ رحمهما الله ـ فلا يُدرى هل هؤلاء مسلحون أم لا؟.

ملخص قصة السرقة التي حصلت لمنزل الجد[4] رَحِمَهُ اللَّهُ:

أنه عندما استيقظ ليلة من الليالي قبيل الصبح؛ ليصلي من الليل ما شاء الله أن يصلي، بحث عن فراشه الذي يصلي عليه النوافل عادةً في المكان الذي كانت والدتي تضعه فيه،فلم يجده، فأيقظ الوالدة ـ رحمها الله ـ وقال: أين سجادة صلاتي؟

فقالت: هي في المربعة، ـ أحد مربعات القصر في زواياه الأربع ـ وكان مع الوالد مصباح، وهو يدور ويبحث عن السجادة! فهنا أدرك الوالد الأمر، وقال: نحن قد سرقنا!!

وكادت الوالدة ـ رحمها الله ـ أن تظهر صوتًا، فهدأها الوالد، وسكن من روعها.

---

(١) توفي : في ١٣/ ٩/ ١٤٣١هـ عن عمر يناهز المائة.

(٢) هو جدّي لأمي ، أمه: منيرة المقبل، وهي عمة صالح المقبل والد الجد رَحِمَهُ اللَّهُ ، وقد كان رجلاً صالحاً، متعففاً، عمل زمناً مع النواب «رجال الحسبة»، وقد رأيت بنفسي وأنا صغير شيئاً من الأذى الذي كان يلحقه من بعض سفهاء الشباب في ذلك الوقت ـ عفى الله عنهم ـ ورحم الله الجد رحمةً واسعة.

(٣) هو ابن خالة الجد رَحِمَهُ اللَّهُ .

(٤) كما رواها لي العم مقبل، عن الجد رَحِمَهُ اللَّهُ.

وبالفعل كان قد سُرِقَ معظم ما في البيت من قهوة، وهيل، وسكر، وشاي، وربما بعض الأواني! وكانوا في تلك الفترة قد أخذوا رواتبهم الشهرية من المالية ـ وهي جنيهات من ذهب ـ وعندهم بعض رواتب خويا الوالد، والمجموع هو: سبعة عشر جنيهًا، مع قلادة ذهب للوالدة ـ رحمها الله ـ ، وهو ما زاد من آلامها، فاسترجع الوالد وصلى حتى أذن الفجر.

ذهب الوالد لصلاة الفجر وصلّى بالجماعة كعادته، وأخبر الأمير عبدالعزيز الشقيحي[1]، فرد عليه الأمير: لعل خوياك[2] هم الذين سرقوك!! فكبرت في نفس الوالد جدًا، وقال خوياي سرقوني؟! هذا أحد المستحيلات.

رجع الوالد لبيته، وكتب برقية للملك عبدالعزيز رحمه الله، فجاء الرد مثلما ذكر الأمير، وقال نفس ما قال الأمير!

فأسرها الوالد في نفسه، وربّما أبداها لأحبابه وخواصه.

ترك الوالد الموضوع، وجعلوا يتحرون من قام بهذه السرقة، وجاء قوم من أهل نجران ـ بعد مرور شهر على الحادثة ـ للأمير، وقالوا: أيها الأمير، إن بني فلان قد أَثْروا[3] هذه الأيام، ونحن نعرف أنهم فقراء معوزين، لا يجدون شيئًا، فما أسباب هذا الثراء؟!

---

(١) كان تعيينه على إمارة نجران في نفس الوقت الذي عين فيه الجد قاضياً عليها.

(٢) يقصد من جاء مع الوالد، وهم أو بعضهم من ذكرنا أسماؤهم.

(٣) يقصد: أنه حصل لهم ثراء مفاجئ.

فتحرك الأمير، وعمّد مدير الشرطة ـ وكان من القصيم ومن الرس تحديداً، يدعى فلان الدعيجي ـ، بعمل التحريات، فقام بذلك، وتابعه بنفسه، حتى ذكر له أن آل فلان ربما هم من سرق القاضي وغيره.

فذهب إلى مزرعة لهم، وبحث عنهم فلم يجدهم، ووجد ابنًا قد ناهز الاحتلام، فقال له: أين أهلك؟ قال: ليسوا موجودين! فقال: أخبرني أين الأشياء التي أتوا بها؟ فقال: لا أدري! فضربه عدداً من السياط، فقال الفتى: ادخل، فأدخله و ـ الجنود الذين معه ـ حوش البقر! وقال: احفروا هنا، فحفروا فوجدوا حفرة مغطاة بباب، فنزعوا الباب فوجدوها مليئة بالأثاث، من دِلال وأباريق، وأشياء كثيرة، كلها مسروقة لأناس!

وذهب بهم إلى النخل، فأخرج من نخلةٍ كيساً (جورب رجل) فيها ذهب، وأشياء أخرى، فأحضروا هذه المسروقات للقصر، وبين يدي الأمير، ووجدوا من ضمنها ما سُرِقَ أو بعض ما سرق من منزل الوالد، وبعد خروج الوالد من المسجد ـ إما الصبح أو العصر ـ مرَّ الوالد كعادته ذاهبًا لمنزله، وإذا بالأمير وحوله أناس جالسون، فكلم الأميرُ الوالدَ، وقال له: فنجال يا شيخ محمد! فاعتذر الوالد وهو ماضٍ في سبيله، فرجاه الأمير أن يجيب الدعوة، وقال: لدينا شيء مهم، أو كلمة نحوها، فقبل الوالد الدعوة، وجلس في مكانه الذي يليق به، فرفع الأمير كيس عبارة عن (شُرّاب رِجْل)[1] وقال: يا شيخ تعرف هذه؟ قال: نعم!

فقال الأمير ـ وكأنه يختبر الوالد ـ : هل تعرف ما فيها؟

---

(١) المقصود بالشُرّاب: اللباس الذي يلبسه الناس في القدم لتوقي البرد.

قال: نعم، عهدي فيها سبعة عشر جنيهًا! ولكن ما بداخلها أكثر من ذلك!

ولكن الوالد يعرف أنه قد أضيف على هذه الجنيهات شيء؛ لأن ما في داخلها يدل على ذلك، فمدها للوالد، فلما أخذها أفرغها بيده، وإذا فيها الجنيهات، وفيها قلادة ذهب للوالدة، وفيها ـ وهو المهم ـ ختم قاضي نجران سلف الوالد ـ الشيخ عبدالمحسن الخريدلي رَحِمَهُ اللَّهُ ـ[1]!!

فلما رآه الوالد ـ أي الختم ـ اقشعر جلده، وقال: «ما في الفخ أكبر من العصفور»!

وإنما قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ ذلك؛ لأن لديه خلفية بسيطة عن مفاجأة موت الشيخ عبدالمحسن الخريدلي رَحِمَهُ اللَّهُ ـ وهو من أهل المذنب ـ وهؤلاء اللصوص متهمون بقتله.

وقد حدثه بعض الأخوان الموجودين في نجران ـ قبل أن يأتي الوالد ـ أن الشيخ كان موجوداً معهم بعد صلاة العشاء في تلك الليلة التي توفي فيها، وعندما انتظروه ليصلي بهم الفجر أخبروهم ـ وهم في المسجد ـ أنه قد توفي، فكانت مصيبة قاسية عليهم، وهرعوا إلى منزله في قصر الإمارة، فوجدوه ـ كما أظن ـ في فراشه، ونقلوه إلى مكان فغسلوه وكفنوه فيه، وممن تولى ذلك رجل من آل اليحيى من بريدة، وكان الوالد ـ رحمهم الله جميعًا ـ يزوره ببريدة، وكنت أزوره معه، ونسيت اسمه الآن ـ ويلقب «الريس» ـ ؛ لأنه هو مؤذن القصر في نجران، وقد ذكر للوالد كيف تلقوا

(١) له ترجمة في كتاب "علماء نجد خلال ثمانية قرون" ٥/ ٢٢ ، قتل عام ١٣٦٠ رَحِمَهُ اللَّهُ.

خبر وفاة الشيخ ـ رحم الله الجميع ـ وذكر للوالد أنهم عند تغسيله **وجدوا في رقبته أثر غيلة!** وأظنه ذكر ذلك للأمير النشمي، ولكنه استبعد ذلك.

ولنعد إلى موضوع السرقة:

فعند ذلك ذهب الوالد لمنزله، وأبـرق برقية شفرة للملك عبدالعزيز رحمه الله، أخبره فيها بأن السرقة التي حصلت قبل شهر، ورفعنا لكم عنها بتاريخ كذا، قد وجدت عند آل فلان ـ وهم أصهار الشيخ القاضي السابق ـ ووجدوا ضمن المسروقات (ختم الشيخ)! وهم متهمون في قتله غِيْلةً؛ لأن الذين غسلوه ذكروا أن في رقبته أثر ربط خيط يدل على غيلته، وأنه كان صحيحًا معافى ليلتها، وعند ترقبهم إياه لحضور صلاة الفجر، قيل لهم: إنه توفاه الله.

يظهر أن الوالد سبق الأمير في إخبار الملك بهذه الواقعة، فغضب الملك رحمه الله وأرسل برقية للأمير يوبخه فيها، ويهدده تهديدًا بليغًا، وجاء الأمير للوالد، وقال: أنت سببتني عند الملك؟! قال: أبدًا، إلا أنني أخبرته فقط بما حصل.

جاءت برقية أخرى من الملك للوالد ، ومضمونها: «**أن تشكل لجنة تحقق في موضوع السرقة، ويثار موضوع قتل الشيخ الجريدلي، ويكون الوالد هو رئيس هذه اللجنة**».

وقد تم سجن المتهمين ـ وهم أربعة كما يغلب على الظن ـ وبدأ التحقيق معهم، ثم فرثلاثة منهم من السجن ليلاً، وبقي واحدٌ، وهو الذي أدلى بالاعترافات كاملة أمامهم، وأمام اللجنة برئاسة الوالد رحمه الله، وقد قتل هو قصاصًا.

أما الزوجة ـ وهي عامل رئيس في هذه القصة ـ فقد كان في اعترافها بعض لَوَث[1] ـ كما ذكر لنا الوالد ـ ولم تقتل بل اكتفى بتعزيرها» اهـ[2].

ومن الأخبار التي تذكر في رحلته إلى الجنوب، قصة اقتلاعه لشجرة الأراك ـ التي كان بعض أهل نجران يعتقد فيها اعتقاداً فاسداً! ـ وسيأتي ذكرها فيما يخص الجانب الاحتسابي عند الجد رَحِمَهُ اللَّهُ .

(١) اللَّوَث ـ بتشديد اللام وفتح الواو ـ هو العداوة الظاهرة بين القاتل والمقتول، كما قال الفقهاء رحمهم الله.

(٢) انتهت رواية العم مقبل لقصة السرقة.

برنـــامجـــه اليـــومـــــي

برنامجه اليومي

لم يتيسر لي ضبط برنامجه في أيام قضائه في القنفذة، أو نجران، أو العقلة، لكن الظاهر من كلام الأعمام، ومن تتبع سيرته، أنه البرنامج لا يكاد يتغير، اللهم إلا فيما يخص كثرة المجالس العلمية في المسجد والبيت، تبعاً لكثرة الطلاب وقلتهم، وربما عدمهم في بعض النواحي.

كما لم يظهر لي فرقٌ كبير بين برنامجه في مرحلة ما قبل التقاعد الوظيفي وما بعده؛ لقلة الخصومات وسهولة البت في أغلبها.

وما سأذكره في هذه الأسطر، فهو برنامجه الذي تلا مرحلة التقاعد؛ لأنه بقي بعد تقاعده رَحِمَهُ اللَّهُ ٢٣ ثلاثاً وعشرين سنة، لم ينخرم فيها برنامجه إلا إذا سافر أو مرض رَحِمَهُ اللَّهُ [1].

يبدأ برنامج الجد رَحِمَهُ اللَّهُ من قبل صلاة الفجر بساعتين وقد تزيد تبعاً لطول الليل وقصره؛ لتبدأ رحلة القلب قبل الجسد، في سَبْحٍ طويلٍ مع آي الكتاب العظيم الذي حواه صدره، ولا يرده عن هذا القيام سفر ولا جهدٌ بدني، ولسان الحال: «أرحنا بالصلاة».

ثم إذا صلى الفجر ـ سواء كان إماماً أو مأموماً ـ تبدأ رحلة سبعِ حلقات متفرقة على مدار اليوم.

فبعد أن يقرأ الأذكار، يبدأ بالاستماع لما تيسر من كتب العلم التي

---

(١) من إفادات العم صالح أثابه الله، والذي حظي بشرف ملازمته والاستفادة منه طيلة تلك المدة.

تقرأ عليه، وهذا هو الأغلب، وقد يعلق ـ على ندرة ـ خاصة إذا كان الدرس مما يحتاج إلى ذلك كدرس الفرائض أو النحو، ويستمر **الدرس الأول إلى طلوع الشمس.**

ثم حلقة في البيت مع قهوة الصباح.

ثم حلقة بعد صلاة الظهر في المسجد.

ثم حلقة بعد صلاة العصر في المسجد.

ثم حلقة قبل المغرب في البيت.

ثم حلقة قبل العشاء في المسجد.

ثم حلقة بعد العشاء في البيت.

ثم ينام قليلاً لتبدأ الرحلة من جديد.

صورة لمسجد الشورقية الجنوبي ـ قبل هدمه ـ الذي كان المترجم له يعقد فيه مجالسه العلمية

نشاطه في التعليم والدعوة والاحتساب

نشاطه في التعليم والدعوة والاحتساب

أولاً: نشاطه في التعليم:

منذ أن مَنّ الله على الجد رحمه الله بحب العلم وطلبه، ثم التأهل بعد ذلك للتعليم والتدريس، وهو لم ينقطع عن ذلك حتى توفاه الله عز وجل.

* ومن الشهادات القيّمة في هذا الموضوع، شهادة المربي الفاضل الشيخ/ عثمان الصالح رحمه الله حيث يقول: «**لم ينقطع عن التدريس في أي مكان عمل فيه ....، عاش طالبَ علم، ومات وهو يطلبُ العلم حتى لفظ أنفاسه الأخيرة**»(١).

* ومن المعروف عنه رحمه الله أنه إذا جلس مجلساً وانتهى وقت السؤال عن الأحوال والمعتاد من الأسئلة عند بداية اللقاء، تبدأ القراءة فيما تيسر من الكتب، وقد لمس هذا الأمر من جالسوه بعض المجالس بلْهَ أكثرها، وفي هذا الصدد يقول الشيخ عثمان الصالح رحمه الله: «**كان من عادته رحمه الله أنه لا يسمح في مجلسه بالخوض في حديث يدور حول الدنيا ولا الأشخاص، وكان دأبه اصطحاب ما تيسر من الكتب العلمية**»(٢).

* **ومن صور حرصه على التعليم ونفع الطلاب:**

---

(١) من مقالة مطولة للشيخ عثمان في رثاء الجد رحمه الله نشرت في صحيفة الجزيرة، عدد: (٣٤٠٦) وتاريخ ٥/ ٣/ ١٤٠٢هـ.

(٢) المصدر السابق.

أنه كان حريصاً على اقتناء ما يجد من الكتب المطبوعة التي ينتفع بها الطلبة، ففي مكاتبة بينه وبين شيخنا الشيخ عبدالله ابن عقيل في ٢٤/ ٤/ ٨٩ هـ[١]، جاء فيه:

«**ونبدي لحضرتكم أننا طلبنا العام من الشيخ[٢] جملة من نسخ التوحيد، ولا تيسرت، والآن نحن في حاجة ماسة لذلك**، ونرجو من فضلكم المساعدة على توصيلها، كان الله في عونك في أمر دينك ودنياك».

ولقد كان للجد رحمه الله برنامج حافلٌ بالدروس [٣]:

«فبعد أن استراح الوالد من القضاء؛ تفرغ للدعوة والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتعليم، فكان عنده كل يوم في المسجد والبيت **سبع حلقات** ـ كما سبقت الإشارة إليه آنفاً عند الحديث عن برنامجه اليومي ـ.

وأقول: إنني أدركتُ الجد رحمه الله ـ على صغرٍ في سني وكبر في سنه[٤] ـ حلقة المغرب في بيته لا ينقطع فيها صوتٌ القراءة بالقرآن الكريم، أو بكتب العلم.

---

(١) وهذا الكتاب بعد تقاعد الوالد عن القضاء بنحو عشر سنوات، ومع هذا فلم تنقطع المراسلات بينه وبينه إخوانه من أهل العلم ـ رحم الله الجميع ـ.
وقد ذكرتُ هذا الكتاب بطوله في فقرة المراسلات العلمية والأخوية.

(٢) لعله الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله.

(٣) حدثني بذلك أكثر الأعمام ملازمةً له في أواخر حياته رحمه الله، وهو العم صالح، وفقه الله.

(٤) مات الجد وعمري نحواً من ١١ سنة تقريباً، جمعنا الله في الفردوس الأعلى.

* وقد رأيتُ ـ مراراً ـ شيخنا الشيخ محمد أويس الهزاروي[1] ـ من باكستان ـ يقرأ عليه كثيراً من القرآن، وكان الجدّ يحبه حباً شديداً ويعطف عليه؛ لحسن قراءته وجودة حفظه.

* أما جهوده في التعليم **في مدة إقامته في عقلة ابن جبرين**، فيكفي أن تعلم ـ أخي القارئ ـ أنه خصص **لنساء أهل العقلة نصيباً من الوقت**[2] يعلمهن ما تيسر من قصار السور؛ ليقمن بذلك صلاتهن، كما كان يفعل ذلك مع الصغار وكبار السن، كما حدثني بذلك الشيخ/ جارد الشريهي.

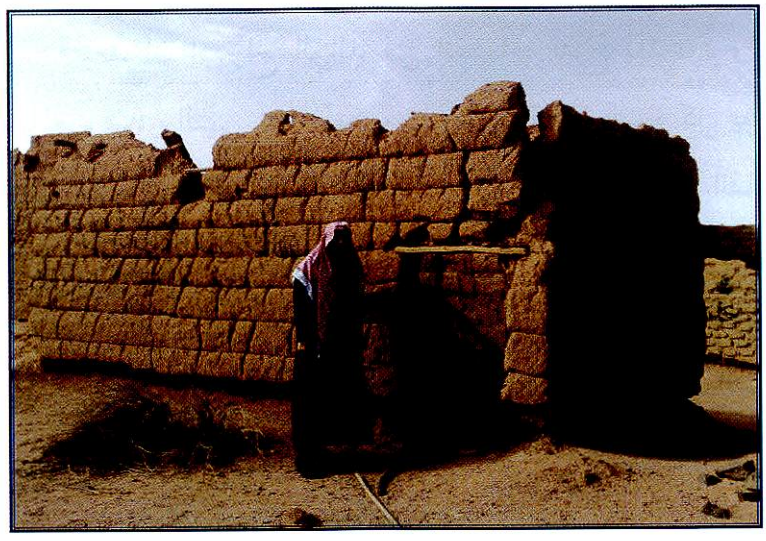

صورة للمكان الذي كان يعقد فيه المترجم له مجالس العلم في «عقلة ابن جبرين»

---

(١) هو شيخي الذي حفظتُ عليه القرآن الكريم ـ كما هو حال أكثر أقراني في المذنب ـ فجزاه الله عني وعن المسلمين خير الجزاء، وختم له بخير، وأصلح له نيته وذريته.

(٢) وهذا مما يتأسى به أهل العلم والدعوة بنبيهمﷺ الذي خصص للنساء يوماً يعلمهن ما يحتجنه من أمور الدين، كما ثبت في الصحيحين: البخاري (١٠١) مسلم (٢٦٣٣).

*** ومن أبرز ما يوضح جهوده في تعليم العلم الشرعي ونشره، بناؤه للمدرسة الأهلية الأولى في ذلك الوقت، ولها قصة يحسن إيرادها هنا، وملخصها[1]:**

« لما عاد الوالد – رحمه الله – من القنفذه، وعين قاضياً بالمذنب عام ١٣٥٠، عزم على فتح أول مدرسة بالمذنب، خارج المسجد، مخصصة لطلاب العلم؛ فقام ببنائها على حسابه ومن عاونه من الأهالي المهتمين بهذا الشأن، وهي تقع إلى الشمال من الجامع القديم في «الديرة» ـ جنوب المجلس ـ وقاول عليها بعض المختصين، حتى شُيِّد بناؤها، واجتمع فيها الطلاب؛ يعلمهم القرآن، والقراءة والكتابة، ومبادئ الحساب، والعلوم الشرعية.

وكانت الدراسة تبدأ صباحاً حتى قبيل أذان الظهر، ثم تُستأنف بعد صلاة العصر حتى أذان المغرب، وكان حازماً شديد الحرص على الطلاب وتحصيلهم، شديد الغيرة عليهم، يهابونه كثيراً، ولا يخالفون له أمراً، وقد سلمهم آباؤهم له؛ ليساهم في تربيتهم وتعليمهم، وتركوا له صلاحية ذلك، ولم يكن يأخذ من أي أحدٍ كائناً من كان أي مقابل على التدريس والتربية.

وكان يتفقد طلابه للصلاة، ويوصي من يتفقدهم في المساجد الأخرى، فلا يتخلف منهم أحد، بل كانوا يتسابقون إلى المسجد قبل الأذان.

---

(١) من إفادات العم صالح أثابه الله.

ويُعْتبرُ من لم يأت إلى المسجد إلا بعد الأذان مقصراً، ومن أتى بعد إقامة الصلاة مخالفاً، ومن فاتته ركعة فهو في حكم العاصي عنده، ومن فاتته صلاة واحدة ـ ولو بعد مدة طويلة ـ فهذا لا تسأل عن حاله!

واستمر على ذلك حتى جاء قرار نقله إلى نجران عام ١٣٥٦هـ.

وتولى التدريس فيها بعده بعضُ طلابه، منهم: الشيخ محمد بن علي العليوي، والشيخ حمد بن عبدالله العويد ، والشيخ محمد بن عبدالله العويد، والشيخ عبدالرحمن بن صالح المطلق ـ رحمهم الله أجمعين ـ .

واستمرت المدرسة كأول مدرسة شبه نظامية بالمذنب، إلى أن فتحت أول مدرسة حكومية بالمذنب، وهي المدرسة السعودية عام ١٣٦٨هـ، حيث اقتصر تدريس الوالد وطلبة العلم ـ رحمهم الله ـ في المساجد والبيوت، حسب الحلق التي تنعقد، وحسب ظروفهم، وصعوبة معيشتهم رحمهم الله» اهـ.

ثانيا: نشاطه في الدعوة:

لم تكن المهمة المناطة بمن يبعثهم الملك عبدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ في تلك الفترة هي مجرد القيام بالقضاء، بل كانت تناط بهم مهام كثيرة بالإضافة إلى القضاء، كالإمامة، والخطابة، وعقد الأنكحة، والإصلاح بين الناس، وغيرها من المهام.

وهكذا كان الجد رحمه الله ـ كغيره من أهل العلم في ذلك الوقت يمارس الدعوة إلى الله تعالى في رحلاته كلها، ويمكن تلخيص نشاطه في هذا الباب، فيما يلي:

* حدثني شيخنا الفقيه الشيخ عبدالله ابن عقيل أن الجدّ رحمه الله كان له نشاط معروف إبان عمله في الجنوب، وله نشاط في الوعظ والإرشاد.

* وفي أحد الخطابات التي كانت بينه وبين شيخنا ابن عقيل ـ والمؤرخة في ١٣٥٩هـ ـ تحدث الجد رحمه الله عن معاناته في الدعوة في منطقة نجران، وصعوبة ما واجه في دعوته مع الإسماعيلية وتعنتهم، وأنه يئس منهم!

كما تحدث عن انتشار الربا الصريح بينهم، والذي أذهب كثيراً من بركة زروعهم مع طيب الأرض والماء هناك[1].

* ومن فقهه في الدعوة إلى الله، أنه **لم يكن يطيل الصلاة لما كان في عقلة ابن جبرين**، بخلاف صلاته في بلده المذنب، وقد علل ذلك بأن: التخفيف في الصلاة ـ الذي لا يخرج عن السنة ـ يُرغْب الناس في الصلاة، كما حدثني بذلك الشيخ/ جارد الشريهي الشمري (أبو كنعان) لما زرته في عقلة ابن جبرين[2].

---

(١) كما سيأتي تفصيل ذلك في الحديث عن مراسلاته الشخصية.

(٢) زرته يوم ٣٠/ ٢/ ١٤٣٠هـ.

ولا ريب أن مراعاة اختلاف الأزمان والأماكن والأحوال، من فقه الداعية؛ كما كان يفعل ﷺ.

صورة خلفية لجامع «العقلة» الذي كان يصلي فيه المترجم له إبان قضائه فيها

* **ومن المواقف التي تؤكد حرصه على الدعوة إلى الله، ومراعاة حال المدعو**، ما حدثني به غربي بن نحيطر الشمري رحمه الله[1] أنه قال: زارني الشيخ هو وأولاده في مزرعتي، ومعنا الوالد[2]، وقد نصحني نصيحة لا زلت أذكرها حتى الآن، وأعتبرها مكسب لي في حياتي، وهو أنه قال لي: يا غربي! **ترى النعم فرّارة!** فكبرت علي هذه الكلمة! فقلت: يا شيخ! وشلون[3] النعم فرّارة؟! فقال: **إذا شردت ناقتك**

---

(١) من أهل عقلة ابن جبرين، ومن مواليد سنة ١٣٣٥هـ كما أخبرني عن نفسه، وقد توفي عام ١٤٣١هـ(بعد زيارتي له بسنة) رحمه الله.

(٢) والده هو: نحيطر الشمري رحمه الله، كان رجلاً صالحاً، أثنى عليه العم مقبل خيراً.

(٣) يعني: كيف؟

ماذا تفعل؟ قلت: أمسكها مع رسنها، وأعقلها بالحبل، فقال: هكذا النعم، قَيْدُها: الحمد لله والشكر له، والله كأني أسمعها الآن.

فانظر ـ أخي القارئ ـ كيف خاطب الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الرجل بما يحسنه، وضرب له مثلاً من واقع بيئته.

* **وحدثني غربي** ـ أيضاً ـ أن والده نحيطر سأل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: هل يقضى الوتر؟ فقال الشيخ: **أنا إذا فاتني الوتر قضيته اهـ**.

فالشيخ لم يجبه مباشرةً؛ لأنه مع تطاول الزمن قد ينسى السائل أو مستمع الجواب جواب العالم، فإذا ربطه بشيء كهذا؛ فإنه لا يكاد ينسى، وهذا من الحكمة في التعليم والدعوة.

مُعِدُّ الترجمة وهو يستمع لحديث الشيخ غربي بن نحيطر الشمري رَحِمَهُ اللَّهُ

* ومن المواقف التي مارسها عملياً في الدعوة والإصلاح، ما حدثني به ـ أيضاً ـ غربي بن نحيطر رَحِمَهُ اللَّهُ، أنه أول ما حصل خلاف بين

بعض أهل العقلة مع أميرهم عبدالله بن ملبس، جاء الشيخ حمود بن حسين الشغدلي[1] والشيخ عبدالرحمن المَلَق[2] ـ رحمهما الله تعالى ـ من حائل بغرض تقصي الأمر وتتبعه، والنصح لأهل القرية، والصلح بينهم، فقال له الشيخ محمد المقبل ـ وهم في قهوة عبدالله بن ملبس الجبرين ـ رحمه الله ـ يا شيخ حمود! ترى الشر لُهْبة، فطفّوها قبل ما تكبر[3] ، رحمة الله على الجميع.

* ومن الوثائق المهمة التي وقفتُ عليها في هذا الباب، والتي تؤكد معايشته لهموم البلد الذي ينزل فيه رحمه الله، أنه في سنة ١٣٧٢ هـ ـ إبان قضائه في العقلة ـ دعى من فَضُلَ من أموالهم شيء أن يوقفوا بعض نخيلهم على مؤذن الجامع في العقلة؛ ليتفرغ لهذه المهمة الجليلة، فقال ما نصه: «أقول أنا كاتب هذه الأحرف: محمد ابن مقبل ـ قاضي العقلة ـ قد اتفق النظر منا ومن الإخوان كافة أهل العقلة **على إخراج مائة ريال من رأس الصدقة، وكيس عيش لصاحب**

---

(١) من علماء حائل (١٢٩٥ – ١٣٩٠، وقيل: ١٣٩١هـ) رحمه الله ، وقد ترك مكتبةً عامرة بالكتب والمخطوطات، اعتنى بها أولاده من بعده، وعملوا فهرساً لها، وقد زرتها ، فرأيت ما يشرح الصدر .

له ترجمة في علماء نجد للبسام ٢/ ١٣٦ ، «المبتدأ والخبر» ١/ ٣٣٠ .

(٢) من علماء حائل (١٢٩٧ – ١٣٨٠) رحمه الله ، له ترجمة في علماء نجد للبسام ٣/ ٥٩، وقد وقع للشيخ البسام رحمه الله وهم في تحديد تاريخ وفاته، حيث أرخه في عام ١٤٠٨هـ، والصحيح ما ذكرته، كما بين ذلك أبناؤه ـ بعد سؤالهم بواسطة أخي الشيخ حسان الرديعان أثابه الله ـ .

(٣) يقصد: أن الشر كاللهب الصغير، إذا لم يتدارك فإنه يكبر حتى يحرق.

المنارة المؤذن في المسجد الجامع في العقلة، فلا يعارضها أحدٌ إن شاء الله؛ لأن مصلحتها عامة، ومن المعاونة على الخير والمساعدة عليه، وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى، وكذلك الإخوان ما قصروا، كل راعي حَير[1] أمضى للمؤذن نخلة من حَيره، تقبل الله منا ومنهم، وضاعف لهم الأجر، وعجّل لهم الخلف، وبارك الله لهم فيما أعطوا وفيما أبقوا، وهذه أسماء المتبرعين بالوقف للأذان ـ جزاهم الله خيراً وإحساناً، وجعلها الله في موازينهم وزيادة في حسناتهم، وهذه أعيان النخل المذكورة المعينة للمؤذن: ... » الخ.

(١) بفتح الحاء المهملة، وسكون الياء، وهي كلمة معروفة عند أهل حائل، ويراد بها: الفلاحة.

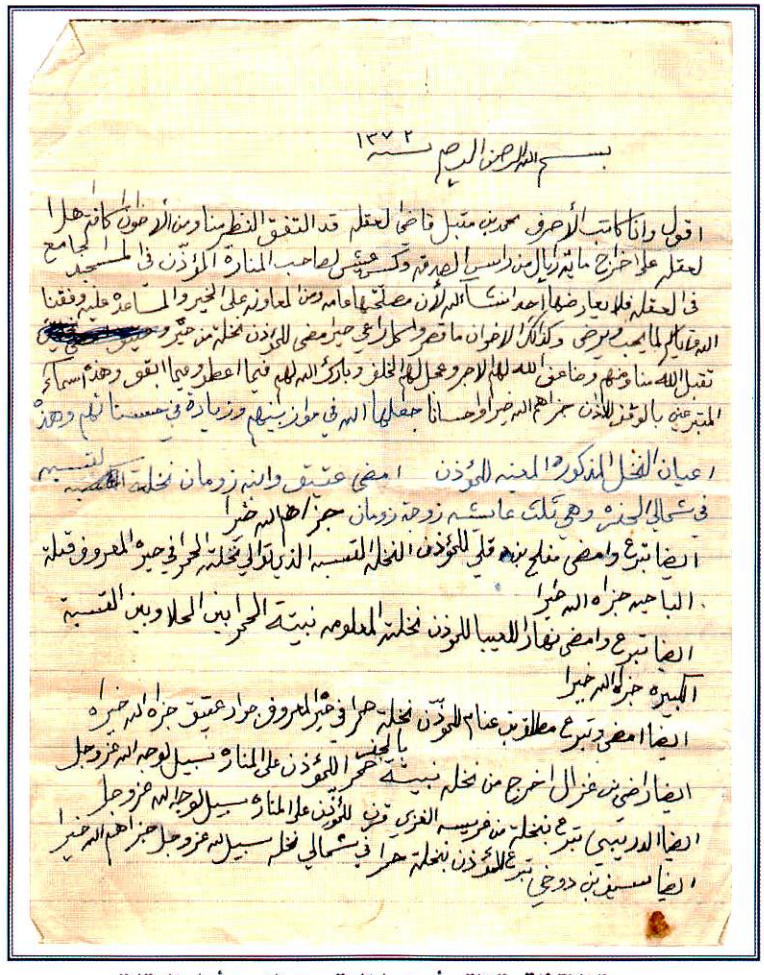

صورة الاتفاقية التي أبرهما المترجم له مع أهل العقلة

* ولما بدأ الترتيب لفرض رَزْقٍ من بيت المال للأئمة والمؤذنين في المذنب وقع نقص على بعض المؤذنين، فكتب رَحِمَهُ اللَّهُ كتاباً إلى الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ الرئيس العام للهيئات الدينية وشؤون المساجد ـ يطلعه على هذه المشكلة، ويطلب منه أن يبادر إلى حلها، وسيأتي نص المكاتبة بينهما في المراسلات الرسمية.

ثالثا: نشاطه في الاحتساب (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر):

يمكن الحديث عن هذا الموضوع في حياة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ من جهتين:

الأولى: الاحتساب في مناصرة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، والحرص على قوة هذا الجهاز، تبين هذا من بعض مكاتباته الخاصة التي تؤكد حرصه على قوة هذا الجهاز، وتضايقه من ضعف القائمين عليه في بعض الفترات، ومكاتبة المسؤولين عن جهاز الحسبة لتقوية ودعم أهل الحسبة، رحم الله الجميع.

وقد حدثني الشيخ: جارد الشريهي الشمري ـ سالف الذكر ـ أن الجد رَحِمَهُ اللَّهُ اجتهد في اختيار مجموعة من النواب[1] ينبهون الناس على الصلاة، وكان ردءاً لهم ومعيناً، ولم يكن أحد من الناس يجرؤ عليهم؛ لأن الشيخ هو سندهم بعد الله.

الثانية: ممارسته لهذا الأمر بنفسه، وهذا مما اشتهر عنه جداً، بحيث لا يبالي في الاحتساب على ما يراه منكراً سواءٌ كان المخطئ صغيراً أم كبيراً، حاكماً أم محكوماً.

وله في هذا الباب مواقف كثيرة جداً، منها:

الموقف الأول:

حدثني به الشيخ محمد بن صالح الشبل رَحِمَهُ اللَّهُ، حيث يقول:

لما كنا في نجران بلغ الشيخ محمداً أن هناك شجرة من الأراك تعبد من

(١) هم المهتمون بأمر الحسبة.

دون الله! فقال لنا الشيخ: استعينوا بالله، سنذهب ونقطع هذه الشجرة!

فحدد لنا موعداً، وبلغَ الناسَ أن الشيخ سيقطعها، فلم يمكنهم الاعتراض؛ لأن الشيخ الذي قرر قطعها هو القاضي.

فاجتمع الناس ـ الذين يعتقدون فيها اعتقاداً شركياً ـ وتحلق عدد كبير منهم، وحذرونا من قطعها، وأنه سيصيبنا من قطعها ضرر!

فبدأ الشيخ بمسحاته ـ ونحن معه ـ فقطعناها وهم ينظرون، وما حصل إلا كل خير، والحمد لله رب العالمين.

الموقف الثاني:

تكررت صورته أكثر من مرّة، حين زاره عدد من المسؤولين الكبار في أوقات متفرقة، ورأى من بعضهم ما يستوجب التنبيه، فنصحهم وذكّرهم بالله، وبأنهم موضع قدوة للناس، حدثني بذلك الوالد وجميع الأعمام الذين حضروا تلك المجالس.

ومن الطريف أن بعض من كان مرافقاً، حاول أن يبرر ذلك الخطأ الذي وقع فيه ذلك المسؤول، فنهره الجد رَحِمَهُ اللَّهُ على دفاعه الذي لا مبرر له.

الموقف الثالث:

وهو موقف يتكرر حسب الحاجة، وهو أنه كان رَحِمَهُ اللَّهُ يستعمل العَدّ لصلاة الفجر، من باب تفقد الغائب، تأسياً بما ورد عن النبي ﷺ ـ من حديث أُبَيّ بنِ كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال: صلى بنا رسول الله ﷺ يوماً الصبح،

فقال رَحِمَهُ اللَّهُ « أشاهد فلان؟» قالوا: لا، قال: «أشاهد فلان؟» قالوا: لا، قال: «إن هاتين الصلاتين أثقل الصلوات على المنافقين، ولو تعلمون ما فيهما لأتيتموهما ولو حبواً على الركب ... الحديث»[1].

ومما يؤكد على مواظبته على هذا الأمر، أن ابن عمّه ورفقيه في رحلته الشيخ/ محمد الحسن العثمان رَحِمَهُ اللَّهُ كتبَ في أحد خطاباته[2] ـ بعد رحيل الجد من نجران ـ يبشره أن إمام الجامع سيباشر العدّ في صلاة الفجر والعشاء.

الموقف الرابع:

حدثني العم/ سليمان بن إبراهيم الشايع (المزعل) رَحِمَهُ اللَّهُ[3] قال :

أركبتُ الشيخ يوماً من الديرة إلى الشورقية[4] بسيارتي ، وكان يأتي لزيارة بنته زوجة العضيبي[5] ـ رحمهما الله ـ ، والعضيبي كانوا جيراناً لنا، فرأى في سيارتي صورة لطيرين معلقين على المرآة ، فأمرني بإزالتهما.

أما ممارسته الاحتساب في خاصة أهله فهذا أمرٌ معروف عنه رَحِمَهُ اللَّهُ،

---

(١) أخرجه أبو داود: (٥٥٤) ، وصححه ابن خزيمة : (١٤٧٦) وابن حبان : (٢٠٥٦) والضياء في "المختارة" : (١١٩٦).

(٢) مؤرخ في ٧/ ١٢/ ١٣٥٩هـ أي بعد رحيل الجد رَحِمَهُ اللَّهُ بفترة قصيرة.

(٣) وذلك حينما زرته يوم الأحد ٢٧/ ٢/ ١٤٣٠هـ، وقد توفي رَحِمَهُ اللَّهُ يوم الثلاثاء ١٢/ ١/ ١٤٣١هـ.

(٤) هذا اسم للحي الذي سكنه الجد أواخر حياته.

(٥) هو الشيخ محمد بن إبراهيم العضيبي، زوج العمة نورة ـ رحمهما الله تعالى ـ.

تحدث به جميع أولاده، ومن ذلك: أنه كان لا يرضى بالتهاون بأي شيء له صلةٌ بالدين، وخاصة الصلاة ـ التي كان يتفقد فيها أولاده ـ هل صلوها جماعةً أم لا؟ بل كان لا يرضى بفوات شيء من الصلاة إلا لعذر، ولأولاده في ذلك حكايات وأخبار.

المراسلات
الرسمية والأخوية

المراسلات الرسمية والأخوية

العمل الرسمي، والقضائي منه بشكل أخص، والسفر ـ خاصة في الزمن السابق ـ من الدواعي لتحرير المراسلات والمخاطبات بين الأطراف ذات العلاقة، كلٌّ بحسبه.

وقد جمع الله للجد بين هذين الأمرين، كيف وقد أمضى في القضاء ثلاثاً وثلاثين سنةً، قضى جُلها في الغربة! وفي وقتٍ لم تكن وسيلة التواصل سوى البريد، الذي قد يتأخر في أحيان كثيرة.

وفي الأسطر التالية نقف على نماذج من هذه المراسلات:

أولاً: المراسلات الرسمية:[1]

١ - جرت بين الجد وبين الملك عبدالعزيز ـ رحمهما الله ـ برقيات مختصرة ـ كعادة الملك تغمده الله فيمن ينوب عنه بعمل من الأمراء والقضاة.

كما كان بينه وبين الملك سعود تغمده الله بعض المراسلات البرقية.

وقد عرَضَ لهذه المراسلات ـ باختصار ـ الشيخ المربي عثمان الصالح[2]، إذ يقول تغمده الله في سياق حديثه عن هذه المراسلات:

«وكان بينه وبين الملك سعود تغمده الله مراسلات جميلة، تحمل أهدافاً نبيلة، يطلب منه عوناً ورفداً لأسر أصابتها نكباتٌ، أو حلّت بها كوارث،

---

(١) والمقصود بها: المراسلات التي تتعلق بعمله في القضاء أيّاً كان مرسلها.

(٢) في مقالته المطولة التي كتبها عن الجد، وقد نشرت في صحيفة الجزيرة عدد (٣٤٠٦) وتاريخ ٥/ ٣/ ١٤٠٢هـ أي بعد وفاة الجد تغمده الله بنحو شهر ونصف.

وطَلبُ إصلاحات ترفع من مستوى البلدة، وتنهض بها.

وكان الملك سعود يُلبي طلبه؛ لعلمه بحسن قصده، وسداد رأيه، أرسلها لجلالته يومَ كان قاضياً لبلدي العُقلة والمذنب.

وللملك عبدالعزيز رسائل جليلة، يشكره فيها على جهوده وصدقه في العمل.

ومِثْلُ ذلك عِدة رسائل من الملك سعود، تحمل نفس المعنى، ونفس الغرض الشريف.

ومنها: رسالة كلَّفه فيها عام ١٣٦٦ لتفقد المنطقة الشمالية، ورسائل هادفة بينه وبين الأمير عبدالعزيز بن مساعد، ومثلها مع الأمير عبدالله الفيصل، وكان يكلف بحلِّ منازعاتٍ سياسية في نجران ـ يكلِّفه بذلك الملك عبدالعزيز ـ فيُوَفَّق في حلِّها، كل ذلك في عام ١٣٥٨.

وأعجبتني[1] رسائل الملك عبدالعزيز؛ ففيها عبارات موجزة، تشبه توقيعات دُهاة الملوك من بني أمية وبني العباس، يقول الملك عبدالعزيز في رسالة له للشيخ محمد المقبل – في ١٢/ ٨/ ١٣٥٨هـ- : «**المتقدم قبل ولايتنا فهو مدفونٌ حلاله وحرامه، والمستجد بعد ولايتنا مرجعه الشرعُ، وفي اجتهادكم البركة**».

ويقول في أخرى في ٢٣/ ١٢/ ١٣٥٨هـ: «**ما حكم به من قبْلكم لا تتعرضوا له، وهو ما كان قبل ولايتنا، ولا تفتحوا بها باباً، وما يستجدّ فالشرع هو الفصل والحكم**».

(١) وما زال الكلام للشيخ عثمان الصالح رحمه الله.

ومِن عشرات الرسائل في ملف الشيخ محمد تقرأ الشيء الجميل؛ مِن الحوار والأخذ والرد، وتُدرك فيها ذلك الاهتمام من الملك عبدالعزيز، والملك سعود، وما يوجهانه إلى القضاة من توجيهات سديدة، كان يتلقاها الشيخ، وينفذها برَوِيَّة وتدبر، ويُحكم فيها القضاء، تكون له قوة في حكمه، ومضاء في رأيه، وإذا كان الحاكم الإداري معه القوة والجيش، والتنفيذ الإداري؛ فإن القاضي ـ بما يحكم به مستنداً إلى قول الله ورسوله ـ قوة إلى قوة. ا.هـ كلام الشيخ عثمان رَحِمَهُ اللَّهُ [1].

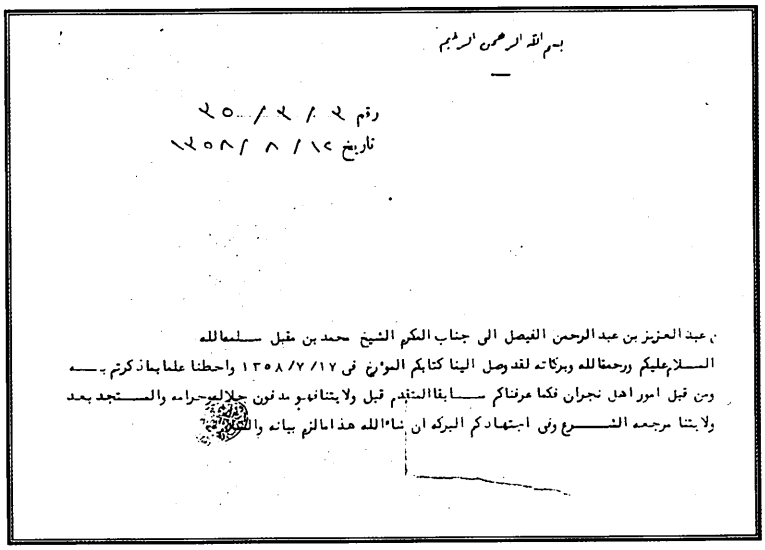

بسم الله الرحمن الرحيم

رقم ٢ / ٢ / ٢٥٠٠

تاريخ ١٧ / ٨ / ١٣٥٨

من عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل الى جناب المكرم الشيخ محمد بن مقبل سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته لقد وصل الينا كتابكم المؤرخ في ١٧ / ٧ / ١٣٥٨ واحطنا علما بما ذكرتم به

ومن قبل امور اهل نجران فكما عرفتاكم سابقا التقدم قبل ولا بتنا نعرفون جلالة الحراء والمستجد بعد

ولا بتنا مرجعه الشروع وفي اجتهادكم البركه ان شاء الله هذا ما لزم بيانه والسلام

صورة من توجيه المؤسس للمترجم له بعد النظر في القضايا التي كانت قبل الحكم السعودي

(١) جميع الفوائد والمعلومات التي نقلتها عن الشيخ عثمان الصالح : يعود الفضل فيها ـ بعد الله ـ إلى صاحب كتاب "المبتدأ والخبر لعلماء القرن الرابع عشر" ص ١٨٥-١٨٨ ، فهو الذي حفظ لنا مقالة الشيخ للوقوف عليها بسهولة، والإفادة منها.

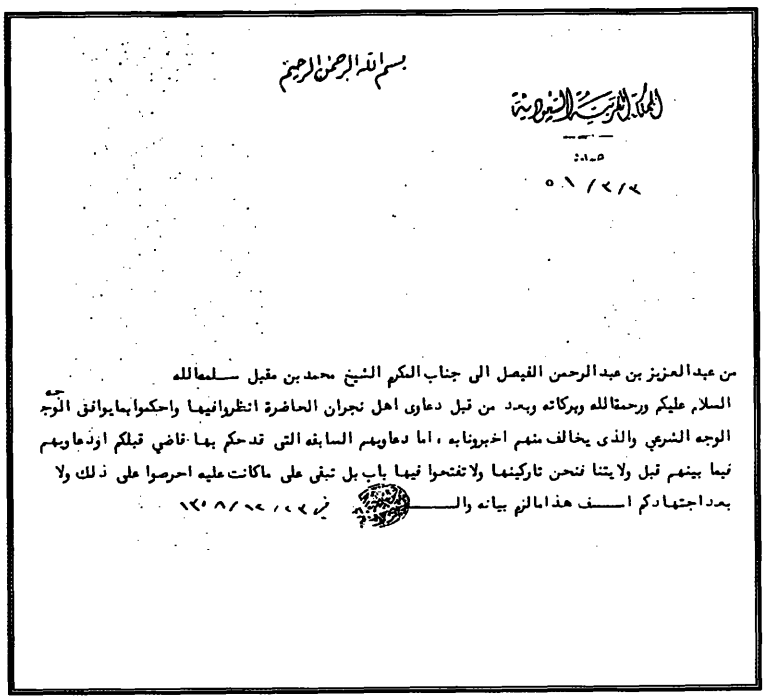

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

التاريخ: ١٣٧٨/٥/١٥

من عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل الى جناب المكرم الشيخ محمد بن مقبل سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد من قبل دعاوى اهل نجران الحاضرة انظروا فيها واحكموا بما يوافق الوجه الوجه الشرعي والذي يخالف منهم اخبرونا به ، اما دعاويهم السابقه التي تدحكم بها قاضي قبلكم او دعاويهم فيما بينهم قبل ولا يتنا فنحن تاركينها ولا تفتحوا فيها باب بل تبقى على ماكانت عليه احرصوا على ذلك ولا بد اجتهادكم اسف هذا ما لزم بيانه والسلام في ١٣٧٨/٨/٢٤هـ

صورة أخرى من توجيهات المؤسس للمترجم له بخصوص القضايا القديمة

وبمطالعة أرشيف المراسلات التي وقفت عليها ـ على اختلاف موضوعاتها ـ التي تمت بين الجد وبين الملك عبدالعزيز، وابنه سعود ـ رحم الله الجميع ـ تبين أنها على سبيل الإجمال: إحدى عشرة رسالة من الملك عبدالعزيز رحمه الله ، ورسالتان من الملك سعود رحمه الله ، وهذا بيانها مرتبة حسب تواريخها:

المرسل	اليوم	الشهر	السنة
الملك عبدالعزيز رحمه الله	١٠	٧	١٣٥٦ هـ
	١٢	٨	١٣٥٦ هـ
	٩	١٠	١٣٥٦ هـ
	٢٥	١٢	١٣٥٦ هـ
	١	٩	١٣٥٧ هـ
	٢٩	١٢	١٣٥٧ هـ
	١٢	٨	١٣٥٨ هـ
	١٩	١٢	١٣٥٨ هـ
	٢٣	١٢	١٣٥٨ هـ
	٢٩	١٢	١٣٥٨ هـ
	١٣	٨	١٣٥٩ هـ
الملك سعود رحمه الله	٢١	١١	١٣٥٦ هـ
	١٨	٧	١٣٦٦ هـ

جدول يوضح المراسلات التي تمت بين الجد
والملك عبدالعزيز رحمه الله والملك سعود رحمه الله

٢- وهذه رسالة أرسلها له سماحة الشيخ عبدالله ابن حميد إبّان كان الجدُّ رحمه الله قاضياً في عقلة ابن جبرين، وهذا نصها[١]:

بسم الله الرحمن الرحيم

مِن عبدالله بن محمد بن حميد، إلى الأخ المكرم: محمد الصالح المقبل المحترم ـ حفظه الله وتولاه آمين ـ:

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد وردنا برقية برقم ٣١٠٣٥ وتاريخ ٣٠/ ١٠/ ١٣٧٤هـ من الإمام سعود ـ حفظه الله ـ بمعافاتكم[٢] عن العقلة، وإلزامكم بقضاء المذنب، فأنتم ـ إن شاء الله ـ تلتزمون، كان الله في عونكم.

والذي أوصيكم به، وأحثكم عليه: تقوى الله تعالى ومراقبته، وأن تتحرزوا بطاعته عن غضبه.

وأوصيكم ـ أيضاً ـ بالتأني والتثبت في جميع أموركم، والنظر في القضايا نظر تأمل وتفهُّم؛ بمراجعة كلام العلماء، وتطبيق كلامهم على الواقعة التي تُبتلى بالنظر فيها، **واحترز من الناس ـ خاصتهم وعامتهم ـ فإن لهم تصورات وإرادات ومقاصد، والحزم كل الحزم بالأخذ** بحديث عائشة رضي الله عنها: «من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مئونة الناس،

---

(١) هذه الرسالة ضمن ترجمة الجد رحمه الله في كتاب «المبتدأ والخبر لعلماء في القرن الرابع عشر» ٥/ ١٨٨.

(٢) أي: بإعفائكم من قضاء العقلة.

ومن التمس رضا الناس بسخط الله؛ وكَلَه الله إلى الناس».

وعليك بمساعدة النواب[1] ومعاضدتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، على وفق ما تقتضيه الشريعة المطهرة، ولازِمْ مناصحتَهم في كل أمورهم، وذلك بالتأني والتثبت، وترك العجلة، وعدم تقصيرهم في وظيفتهم، بأن يتفقدوا الناس ويناصحوهم، ويؤدبوا من يستحق التأديب، وكلٌّ على قدْر ذنبه وجريمته.

واحرص على تأليف الجماعة واجتماعهم؛ حتى يكونوا يداً واحدة، ولا تثق بأحدٍ مهما ظننت، **ثم لا يطَّلع أحدٌ على شئونك وأحكامك، حتى يصدر الحكم بين الخصمين؛ فإنه أصلح وأقطع للنزاع**[2].

وفّق الله الجميع لما يحبه ويرضاه، وجعلنا من صالح عبيده وأوليائه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٣٠/ ١٠/ ١٣٧٤هـ).

***

(١) المقصود بالنواب: رجال الحسبة.

(٢) وهذا من عميق فهم الشيخ ابن حميد رحمه الله وإدراكه، ومَنْ رأى فعل بعض الصحف في التدخل في نشر تفاصيل بعض القضايا قبل الفراغ من صدور الحكم فيها؛ أدرك الآثار السلبية لمخالفة هذا التوجيه الذي ذكره الشيخ ابن حميد رحمه الله.

٣- ومن أرشيف مراسلاته ـ إبّان قضائه في المذنب ـ ما رفعه إلى فضيلة الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ الرئيس العام للهيئات الدينية وشؤون المساجد ـ ليطلعه على ما وقع نقص على بعض المؤذنين من جهة رَزْقهم من بيت المال، وأن بعض المساجد أعطي فيها الإمام وتُرِكَ المؤذن، فأجابه الشيخ عمر رَحِمَهُ اللَّهُ المؤرخ في ١٨/ ١٠/ ١٣٧٨هـ، وهذا نصه:

«من عمر بن حسن آل الشيخ إلى

حضرة الأخ المكرم الشيخ محمد بن مقبل المحترم

بعد التحية والتكريم: أرجو الله لكم صحة جيدة. صحتنا ومن لدينا تسركم ـ ولله الحمد والمنة ـ.

كتابكم الكريم وصل، وفهمنا ما تضمنه ، ونسأل الله لنا ولكم التوفيق والسداد، **وما ذكرتَ من خصوص المساجد التي ذكرتم في المذنب أنها لم تسنّع**[1] **بإكرامية**، وأن بعضها سِنّع الإمام وتُرك المؤذن، فنرغب أن ترسلوا لنا كشفاً بجميع المساجد لديكم التي لم تسنع، حتى نعمد من يلزم بتسنيعها، أسوة أمثالها، والسلام عليكم.

الرئيس العام للهيئات

الدينية وشؤون المساجد

(١) تسنع، أي: يرتب أمرها.

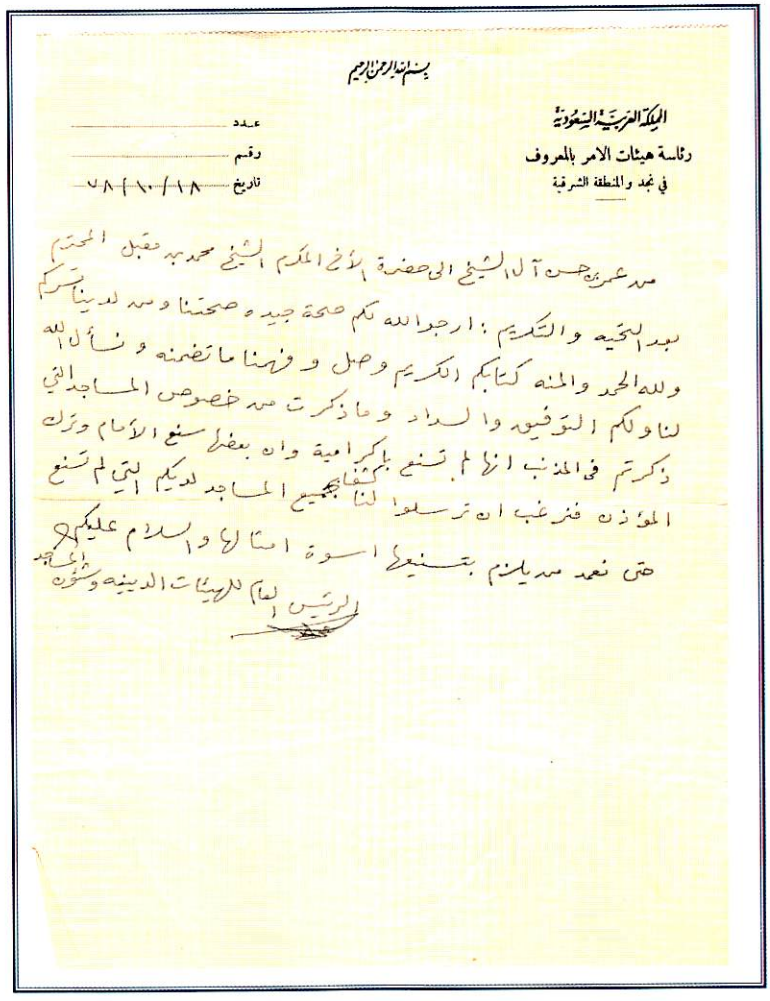

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة هيئات الامر بالمعروف
في نجد والمنطقة الشرقية

عدد
رقم
تاريخ ٧٨/١٠/١٨

من عمر بن حسن آل الشيخ الى حضرة الأخ المكرم الشيخ محمد بن مقبل المحترم
بعد التحيه والتكريم : ارجو الله لكم صحة جيده وصحتنا وسه لدينا بكم
ولله الحمد والمنه كتابكم الكريم وصل وفهمنا ما تضمنه ونسأل الله
لنا ولكم التوفيق والسداد وما ذكرت من خصوص المساجد التي
ذكرتم في المذنب انا لم نسمع بإكرامية وان بعض سمع الأمام وترك
المؤذن فنرغب ان ترسلوا لنا كشفا بجميع المساجد لديكم التي لم تسمع
حتى نعمد سديلهم بتسعيرة اسوة امثالها والسلام عليكم
الرئيس العام للهيئات الدينيه وشؤون المساجد

صورة من خطاب الشيخ عمر بن حسن للمترجم له بخصوص معاش المؤذنين

***

ثانيا: المراسلات الأخوية:

وقد كان لهذا النوع من المراسلات النصيب الأكبر من أرشيف مراسلاته رَحِمَهُ اللَّهُ، والتي يغلب عليها السؤال عن الأحوال والتواصي بالحق والصبر، وبثّ الهموم التي تتزامن وكتابة الخطاب بين المرسل والمرسل إليه.

ولم تكن هذه المراسلات مقتصرةً على طبقة معينة، بل كانت بينه وبين إخوانه من العلماء والمشايخ ، وبينه وبين أقاربه وأحبابه.

وإليك نموذجاً من هذه المراسلات مرتبة حسب تواريخها ـ مبتعداً عن أي تعديل في رسم الأحرف أو تصحيح الأخطاء الإملائية ـ:

١- في ٥/ رمضان/ ١٣٥٠هـ، كتب الشيخ عبدالله بن سليمان الحميد(ت: ١٤٠٤هـ)[1] إلى الجد رَحِمَهُ اللَّهُ ـ ومعه بعض إخوانه ـ هذه الرسالة المليئة بالمعاني الأخوية الطيبة، والتي كانت تعبر عن عمق المودة والمحبة بينهم ـ رحمهم الله جميعاً ـ وهذا نصها:

من محبكم بلا ريب، الداعي لكم بظهر الغيب، عبدالله السليمان ابن حميد، إلى المكرمين الإخوان/ الشيخ محمد الصالح المقبل، والأخ سليمان العلي الحسياني، ومحمد الحسن العثمان، سلمهم الله تعالى وأبقاهم، وحفظهم وتولاهم، وأدام عزهم وعلياهم، وحرس دينهم ودنياهم، وجمعني على بساط المسرة وإياهم، آمين.

---

(١) له ترجمة في : المبتدأ والخبر ٤/ ٩٠ ، وعلماء نجد للبسام ٤/ ١٦٢.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مع السؤال عن أحوالكم، أحوالُ محبكم على ما تحبون من كافة الوجوه، وبعده: نهنيكم بقدوم شهر رمضان المبارك، جعلنا الله وإياكم من الحايزين لثوابه، الآمنين من عقابه، التالين لكتابه، آمين.

كذلك قد أرسلنا لكم كتاب ما جانا رد، عسا المانع خير؟

قصدنا تخبرونا عن صحت[1] الجميع، ومن طرف الأخبار: لم يحدث ولم يصلنا ما يوجب الرفع إليكم إلا دايم الستر، ولاكن أحببنا تجديد العهد بكم، وطلبنا منكم أن لا تقطعونا كتبكم السّارّة، وأن لا تنسونا من صالح دعايكم[2]، كما هو لكم منا.

هذا ما لزم، ومهما يبدو من لازم محبكم تحت الإشارة، سلموا لنا على العزيز لديكم مع بقية الأحباب ومن عندنا من المشايخ والإخوان الجميع بخير ويسلمون، ودمتم والسلام.٥/ رمضان،١٣٥٠هـ (الخط غاية العجل لا مؤاخذة) اهـ.

(١) هكذا في النسخة الخطية من الرسالة.

(٢) هكذا في النسخة الخطية من الرسالة.

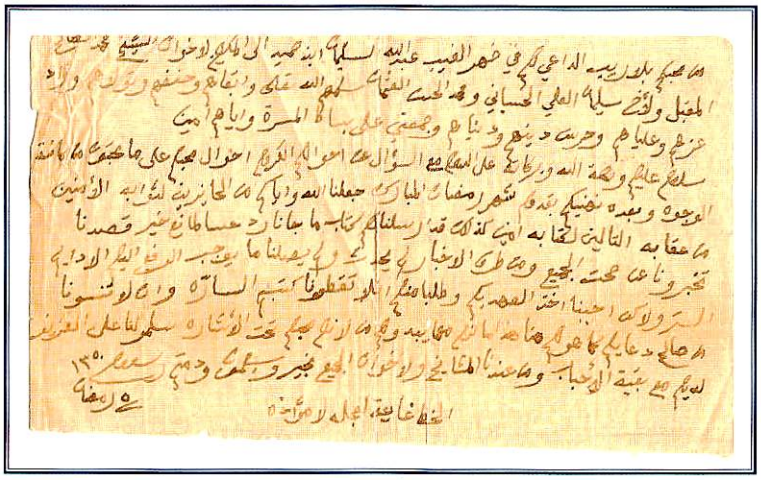

صورة من خطاب الشيخ عبدالله بن سليمان الحميد للمترجم له

***

٢- ومن المشايخ الذين كان يتواصل معهم الجدُّ رحمه الله شيخنا الفقيه الشيخ عبدالله ابن عقيل ـ حفظه الله ـ إبان قضاء شيخنا في أبي عريش، والجدّ حينها كان في قضاء نجران.

وهذا نص رسالةٍ أهداني شيخنا ابن عقيل صورةً منها جزاه الله عني خيراً:

بسم الله الرحمن الرحيم

من نجران إلى أبي عريش في ٦ ربيع الأول ١٣٥٩هـ

من محمد بن صالح بن مقبل وإخوانه، إلى جناب الأخ المكرم، الشيخ الفاضل عبدالله بن عبدالعزيز ابن عقيل، أعاذنا الله وإياه من نزغات الشيطان، وزادنا وإياه من العلم والإيمان، وجعلنا وإياه من أولياء الرحمن. آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد: فإنا نحمد الله - الذي لا إله إلا هو - على سوابغ نعمه الظاهرة والباطنة، وهو للحمد أهل، وهو على كل شيء قدير، **والذي نوصيك به وأنفسنا: تقوى الله ومراقبته في جميع الأحوال، ونستعين الله في جميع شؤون الدين والدنيا، ونسأله أن لا يكِلنا وإياك إلى أنفسنا طرفة عين،** وأن يُصلِح لنا ولكم أمورَ الدين والدنيا، ويوْزِعنا وإياكم شكرَ نِعَمه، واستعمالها في طاعته، ويجعلنا وإياكم ممن اتصف بالصالحات - علما وعملا، ومواساة بها، وصبرا عليها - فإنه وليُّ الإجابة.

ثم كتابكم المكرّم تاريخ ١٤ صفر ٥٩[1] وصل، وبه السرور والأنس حصل؛ حيث أفاد عن صحتكم، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأحسنت الإفادة، لا زِلتَ تفيد بكل خير، وهذا المرجو من مثلك، **وما ذكرتَ من رغبتكم باتصال المكاتبة بيننا وبينكم، وتعريف الأحوال من الجانبين؛ فنحن أرغب إلى ذلك؛ لأن المحبة في الله - ولله الحمد - ثابتة، سواء تقاربت الأجسام أو تباعدت؛ فإن الحبيب من قرّبته المودة وإن كان بعيد الدار والنسب، والضد يُظهر حسنَه الضدُ، وبضدها تتبين الأشياء.**

وما سألتَ عنه من خاصة أخبارنا، وما اتصل بنا من الأخبار النائية؛ فهاهو مبذول لحضرتكم.

أما أحوالنا الخاصة، وصحتنا - فنحمد الله - على ما تحبون من جميع

---

(١) أي: سنة ١٣٥٩هـ.

الأحوال، وكذلك أميرنا[1] مقامه معنا مقام طيب، مستقيم للمساعدة على تنفيذ الأمور إذا صدرت من عندنا، وهو رجل فيه ديانة، مساعد على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – وبالأخص أمر الصلاة، وذلك في دائرة القصر خاصة – ...

وأما الوادي؛ فهو وادٍ كثير النخل، وتربته من أحسن الأرض، وماؤه عذب طيب، طوله من أسفله إلى أعلاه قريبا يوم، وسكانه تقريباً ١٠ آلاف، وهو كثير الزراعة، قابل لجميع المزروعات، ... وفيه مدينة الأخدود، فيها قبر عبدالله بن الثامر، وفيه آثار عمارة هائلة قد خربت.

وأما مقامكم في أبي عريش؛ فلا أُعلِمنا به إلا مِن كتابكم.

وقد هطلت الأمطار عندنا من مدة أسبوع، ومشى الوادي قريب عشرة أيام، وهو وادٍ عظيم، عرضه قريب ساعة ونصف، وجميع نخيل نجران شارعة، ويزرعون البر في القيض[2] والشتاء، والذرة في القيض خاصة، وفيه نخيل تأتي بـ٦٠ عذق، وثمرتها شيء هائل، ولكن ليس فيه بَرَكة؛ لأن أكثر معاملتهم في الربا الصريح – فِعل الجاهلية الأولى – إذا حلّ الدَّين قال: إما أن تقضي أو ترابي!

وأما مبانيه: فهي متفرقة، ما تجد فيها بيتين جميعاً، وهي على صورة بروج، وعليها أسوار محيطة بها، وهي مرتفعة مِن ثلاث طبقات إلى سبع طبقات، وسقوفها من جذوع النخل.

---

(١) هو الأمير تركي بن ماضي، كما سيأتي بعد قليل.

(٢) يعني: الصيف.

وهذا منا أنموذج إجابة لكتابكم، ولو استقصينا لطال الشرح، وهذا يكفي عن الإطالة، وأرجو المسامحة ....

ولا تنسوننا من صالح الدعاء، كما هو لكم علينا، وبلغوا سلامنا عمك عبدالرحمن، والشيخ محمد التويجري، وابنه، ومحمد البليهي، وعبدالرحمن ابن محيميد، وإبراهيم العمود، وعبدالرحمن الطرباق.

وأفيدونا عن صالح الناصر الحسين في «صبيا»، وسلموا لنا عليه، ومن لدينا الأمير تركي بن ماضي، والأخويا بخير، وينهون السلام، والباري يحفظكم ويرعاكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٧/ ٣/ ١٣٥٩.

ثم أردف الجد رَحِمَهُ اللَّهُ هذه الإضافة بعد كتابة ما سبق:

وطـاري[1] الأمير ابن ماضي يفتح طريق من نجران على وادي الدواسر إلى الرياض في هاليومين، **والذي بلغنا من أخبار نجد** أنها طاح عليها أمطار قوية في هذه الأيام، وثمرتها هذه السنة مقبلة، وأسعارها رخية[2]، نرجو الله أن يديم علينا وعليكم نعمه، إنه على كل شيء قدير، والسلام.

---

(١) هكذا قرأتها في الرسالة الخطية ـ وصورتها عندي ـ والذي يبدو لي أن مراده: أن الأمير ابن ماضي (أطرا) أو (يطري أنه) يعني: أن عنده نية لفتح الطريق ... الخ.

(٢) هكذا كتبت، والظاهر أنها تصحيف صوابه: «رخيصة»، أو أن مراده: من الرخاء والرخص، والله أعلم.

صورة من خطاب المترجم له إلى الشيخ ابن عقيل

***

٣- ومن المراسلات الأخوية التي تقطر ودّاً واحتراماً بينه وبين أقاربه، ما تضمنته هذه الرسالة المرسلة من ابن عمه، الشيخ/ عبدالرحمن بن علي المقبل رحمه الله، والتي حررت في ٧/ ٤/ ١٣٦٢هـ، والتي يظهر أنها جاءت جواباً عن عتاب من الجدّ رحمه الله على تأخر الرسائل من طرف العم

عبدالرحمن رَحِمَهُ اللَّهُ، فجاء هذا الخطاب الذي يشرح السبب، ويبدي فيه العذر.

ومن الطريف فيها ما حملته من أسعار أهم السلع التي تشترى في ذلك الوقت ـ عوّضهم الله جنات النعيم ـ وهذه مقتطفات منها:

«إلى حضرة الفاضل الماجد الجليل صاحب الفضيلة ،الوالد الشفيق، سيدي ومولاي الشيخ محمد الصالح آل مقبل سلمه الله، وهداه، آمين،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

على الدوام دمتم بأتم الصحة والسرور، اوخطكم[1] المكرم الجليل وصل، وما ذكرتوا كان لدى محبكم معلوم من خصوص تشرهكم في محله.

حنّا[2] ـ يا والدي ـ أرسلنا جملة كتب[3]،ولا جانا منك ردّ، وقد أرسلنا لكم كتاب مع الخريدلي ليس في ضمن كتاب الوالد المحتوي على الكتب اللي أرسلنا، **ولكن ربما إنه ضايع**، فأنت يا والدي الرجا منك المسامحة ،وعدم المؤاخذة ،ولا مثلنا يزهد أو ينسا مثلك؛ لأنك محل الوالد الشفيق ....، والدرب عليكم هاليومين ،لأنه في حال وصول الربع،

---

(١) ستتكرر مثل هذه الكلمة المسبوقة بـ(او) وليست هي (أو) حرف العطف المعروف، بل هي بمعنى (و) لكن بالنطق العامي المسبوق بهمزة وصل خفيفة .

(٢) أي: نحن.

(٣) يقصد: خطابات ورسائل.

والأمير ماشي هيئة لليمن في محل الزبادين اللي عند آل جعفر، أو عند رجوعهم إنشا الله أتوجه إليكم، وحنا على ما تحبون؛ لأن الأمور ابتقدير الله ،وتجري الرياح بما لا تهوي السفن، هذا ما يلزم .

من جهة الكتب أرسلناها على يد عبدالله الدخيل.

تذكر يا والدي وش المقام عليه؟ قامتنا كله على مصلحة دنيوية لا دينية، والإشارة تكفي، ولا بد أن محمد[1] مشا هو والشيخ مع الأمير، هذا ما يلزم.

منا السلام على العم ،والخالة[2] ،ومقبل وإخوانه ،والعيال وكافة الحمولة، والاخوان ،كما منا الأمير والشيخ بخير ،وينهون السلام .

أسعار طرفنا : قهوة ٥، السكر رطل ١، هيل ٨، شاهي ٥، خام ٣٨، السمن عدم غنم غالية، الأمور كلّه على ما تحب ،هذا والباري يحفظكم، والسلام.

الخادم: عبدالرحمن العلي المقبل.

---

(١) الظاهر إن المقصود بمحمد هذا ،هو محمد الحسن العثمان القويفل (حسينان) تغمده الله .

(٢) يقصد بالخالة حصة العثمان الشبل ـ والدة الشيخ محمد ـ وهي خالة العم عبدالرحمن العلي ؛لأن أم عبدالرحمن اسمها : لولوة العثمان الشبل ـ رحم الله الجميع ،وتغمدهم بجنته الواسعة ـ .

جزء من مراسلة العم عبدالرحمن العلي المقبل للمترجم له

***

٤- ومن المكاتبات الأخوية الكثيرة ما كان بين الجد رَحِمَهُ اللَّهُ من جهة، وبين محمد بن حسن العثمان رَحِمَهُ اللَّهُ من جهة أخرى.

وقد سبق أن محمد رَحِمَهُ اللَّهُ كان أحد رفقائه إلى الجنوب، إلا أنه بقي هناك بعد رحيل الجد عنها كاتباً للأمير تركي بن ماضي رَحِمَهُ اللَّهُ ، وكان جميل الخط.

وهذه المراسلات هي أكثر المراسلات التي وقعتْ عليها يدي من حيث العدد، وكثير منها في السؤال عن الأحوال، والاطمئنان على الإخوان والأقارب، وغيرها من أغراض المراسلات.

أقتطف من ذلك العدد، هذه الرسالة المحررة في ربيع الثاني/ ١٣٦٢هـ أي بعد رحيل الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ من نجران:

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة جناب الأجل الماجد المحترم، الوالد الشيخ: محمد الصالح آل مقبل حرسه الله. آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مع السؤال عن أحوالكم الكرام، لا زالت أحوال مرْضية، ومن جميع الشرور محروسة محمية، آمين .

أحوالنا ـ بحمد الله ـ تسركم من كافة الوجوه، ولم يحدث ما يستحق الذكر، سوى الخير وعدم ضده ـ لله الحمد ـ .

نخبركم طبّينا[1] نجران في غرة ربيع آخر[2]، بحال الصحة والعافية، ولم يحصل علينا – لله الحمد – مشقة.

وبَعدما طبينا بيومين، أَمَر علينا الأمير نتوجه معه للهيئة التي من قبل يحيى[3]، من طرف الحدود التي بين الزبادين وأهل باقم، والشيخ وخواص الأخويا، والأمير؛ الجميع يبون يتوجهون لهذه المسألة ـ نرجو الله التوفيق ـ.

وأما مِن طرف الكتب فقد أرسلناها في صندوقها مع ناصر العلي[4] في السيارة؛ يوصلها إلى الطائف، كما وأنني قد ترجّيت[5] عبود المبارك[6] إن صادف سيارات تمشي إلى نجد، يرسلها إلى الدوادمي، فأرجو أنها تصلكم وأنتم بكامل الصحة والسرور.

هذا ما لزم، مع إبلاغ السلام الوالدين والأمير والأولاد، ومن لديكم عزيز، ومن لدينا الأمير، وعبدالرحمن والأخويا يسلمون والسلام، والخط في غايت العجلة، أرجوكم المسامحة، ربيع الثاني ١٣٦٢هـ.

ولدكم/ محمد العثمان

---

(١) يعني: وصلنا.

(٢) من عام ١٣٦٢هـ.

(٣) هو الإمام يحيى حميد الدين، حاكم اليمن، وقد امتد حكمه نحواً من ٤٥ سنة من عام ١٣٢٢ – ١٣٦٧ هـ تقريباً، وقد اغتيل أيام الثورة في ٦/ ٤/ ١٣٦٧هـ الموافق ١٧ فبراير سنة ١٩٤٨م.

(٤) لم أعرفه.

(٥) أي: رجوته.

(٦) كان من خويا الوزير عبدالله السليمان، وكان قد طلب العلم فترة وجيزة ـ مع الوالد ـ لكنه لم يواصل.

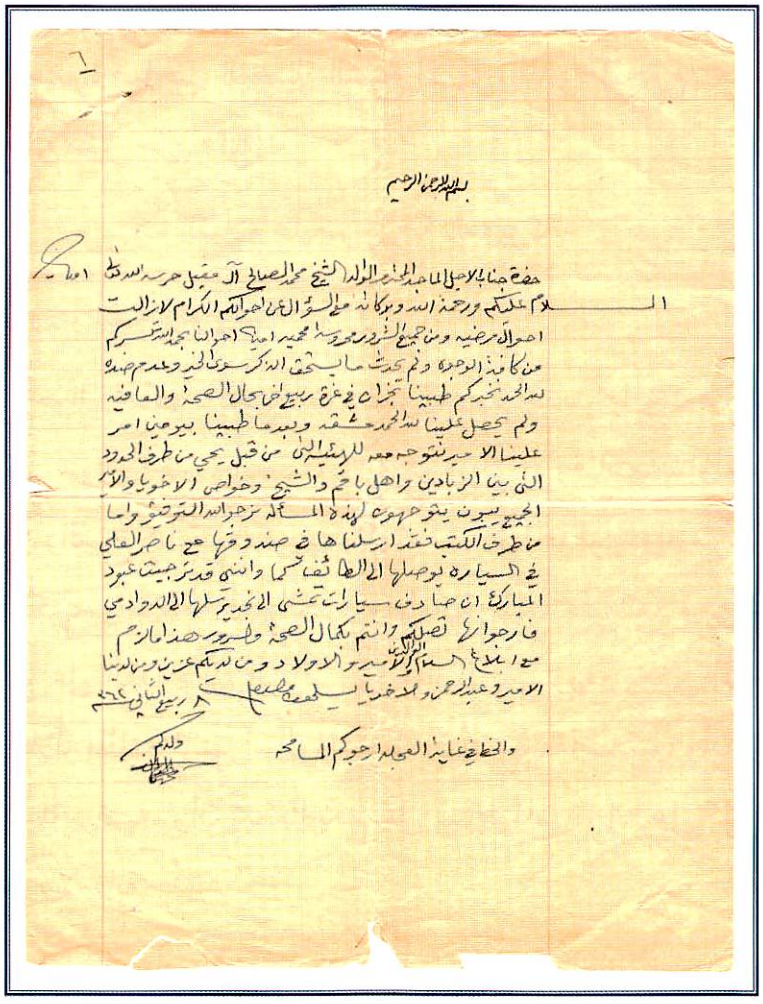

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة جناب الأخ الماجد الجنرال الوالد الشيخ محمد الصالح آل مقبل حرسه الله وفك

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام أخبارتكم الكرام لازالت

أخبار مرضية ومن جميع الشرور محمية أما أخبارنا بحمد الله تسركم

من كافة الوجوه ولم يحدث ما يسوء الذكر سوى الخير وعندهم ضده

بحمد الله خبركم طيبنا تجاه في غرة ربيع الثاني بحال الصحة والعافية

ولم يحصل علينا بحمد الله حادثة وبعدها طيبنا بيومين أمر

علينا الأخ يتوجه معه للرميثية التي من قبل يحي من طرف الحدود

التي بين الزبادين وأهل باحم والشيخ وخواص الإخوان والأمر

الجميع يسرون يتوجهون لهذه المسألة نرجو الله التوفيق وأما

من طرف الكتب فقد أرسلناها في صندوق مع ناصر العلي

في السيارة يوصلها إلى الطائف كما وأنني قد رجعت عبد

المبارك إن صادف سيارات تمشي الأخير يرسلها إلى الدوادمي

فارجوا أن تصلكم والتم بكمال الصحة والسرور هذا ما لزم

مع أبلغ السلام الأخ الأمير والأولاد ومن لديكم عزيز ومن لدينا

الأمير وعبدالرحمن والدخيل يسلمون عليكم ٨ ربيع الثاني ١٣٨٤

والخط في غاية العجلة راجوكم المسامحة

صورة من خطاب محمد الحسن العثمان للمترجم له

***

٥- وهذه رسالة من عدة رسائل جرت بين الجدّ رحمه الله وبين الأمير تركي بن ماضي رحمه الله، والذي كان أميراً في بعض الفترات التي كان الجدّ فيها قاضياً في نجران، انتقيت منها هذه الرسالة[١]:

حضرة صاحب الفضيلة الشيخ الأجل، الماجد المحترم/ محمد بن صالح بن مقبل حرسه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أرجو أن تكونو بأتم النعم ووافر ... [٢].

أحوال محبكم ـ بحمد الله ـ تسركم، ولم يحدث ما يستحق الذكر لجنابكم سوى الخير والعافية، وأنه في أبرك الأوقات، تناولت بيد السرور والفرح كتابكم الكريم، وتلوته مسرورَ الخاطر بدوام سروركم، وصحتكم، واستقامة أحوالكم، وفهمت جميع محتوياته، ومن ذلك عزمكم على القدوم إلى الرياض في هذه الأيام، ورفع بعض المراجعة لمقام جلالة الملك، فإنني أسأل الله تعالى أن يُنْجح مقاصدكم، وأن يوفقنا وإياكم لما يرضيه، وأن يجمعنا بكم على بساط المسرة، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

ونعلمكم بأن الأخ حمد قد وصل إلينا برفقة العائلة النجدية، وفي

---

(١) لم أدرج هذه الرسالة في المراسلات الرسمية؛ لأنها جرت خارج نطاق العمل الرسمي، وبعد أن ترك الجد رحمه الله نجران، ومضمون الرسالة يوضح ذلك.

(٢) كلمة لم أستطع قراءتها، تشبه في رسمها: القسم.

الحقيقة أنه ليس المقصود اجتماع العائلة في هذه البلاد النائية، ولكن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون، هذا ما لزم، وحرر هذا إليكم على عجل، وإن قدمتم الرياض فنرجو الإفادة بواسطة عبدالله بن جوهر.

ومني السلام على حضرة والدكم، والعم[1]، وعبدالرحمن[2] وعبدالكريم[3].

ومن لدينا الأخ/ حمد، والأولاد: عبدالله، ومحمد، وعبدالعزيز، وفهد، ومحمد الحسن[4]، وكافة الاخويا يسلموا عليكم، والله يحفظكم.

٥ ربيع الأول ١٣٦١

من كاتبه محبكم/

التوقيع: تركي بن ماضي[5]

---

(١) يقصد الشيخ/ علي بن مقبل رحمه الله.

(٢) هو ابن عم الجد/ عبدالرحمن بن الشيخ علي المقبل رحمه الله .

(٣) لعله/ عبدالكريم الجريد رحمه الله .

(٤) هو محمد الحسن العثمان ، ابن عم الجد رحمه الله .

(٥) أفاد العم مقبل ـ حفظه الله ـ أن مجيء الأمير تركي بن ماضي رحمه الله إلى نجران كان بعد مجيء الوالد رحمه الله بسنة، أي أنهما بقيا جميعاً نحواً من ثلاث سنوات، وكان الوالد يثني على تعامل الأمير معه، ومع هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد زرناه مع الوالد في آخر حياتهما ـ في فندق اليمامة بالرياض ـ وركبنا في المصعد الكهربائي ـ الذي تعجب منه الوالد كثيراً ـ وكان معنا ابن العم محمد الحسن العثمان ـ رحمة الله على الجميع ـ.

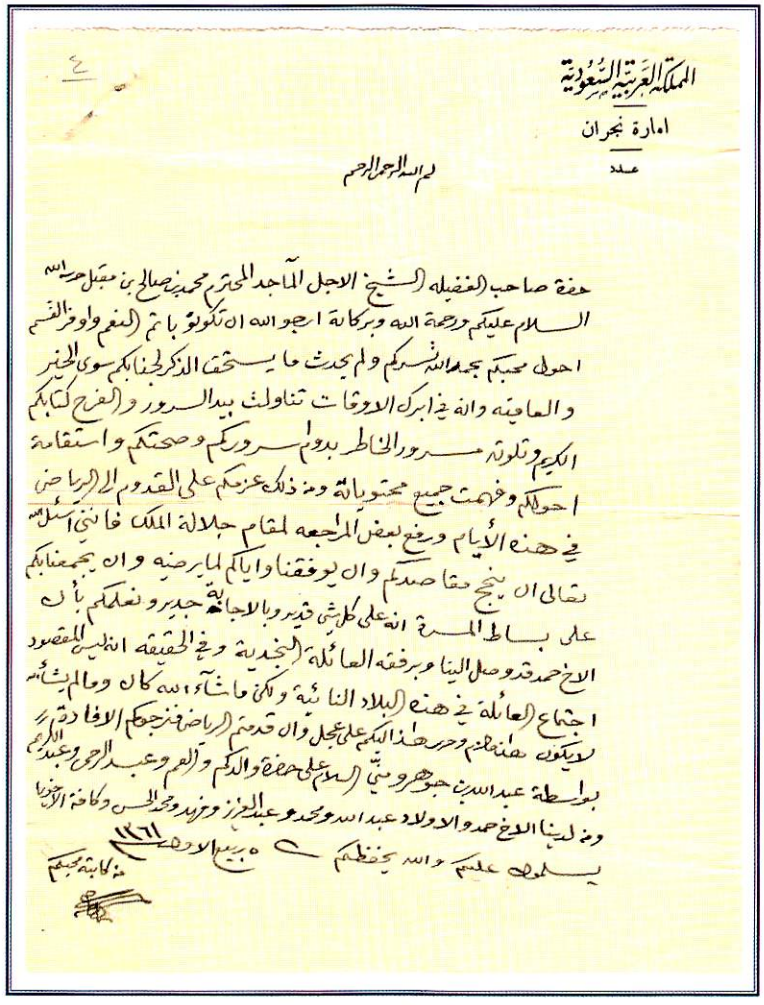

المملكة العربية السعودية

امارة نجران

عدد

بسم الله الرحمن الرحيم

حفظه صاحب الفضيله الشيخ الاجل الماجد المحترم محمد بن صالح بن مقبل حرسه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته اما بعد الله ان تكونوا باتم النعم واوفر القسم

احوال محبكم بحمد الله شركم ولم يحدث ما يستحق الذكر لجنابكم سوى الخير

والعافيه وانه فيما ابرك الاوقات تناولك بيد السرور والفرح كتابكم

الكريم وتلوته مسرور الخاطر بدوام سروركم وصحتكم واستقامة

احوالكم وفهمت جميع محتوياته ومن ذلك عزمكم على القدوم الى الرياض

في هذه الأيام ونفع بعض المراجعه لمقام جلالة الملك فانني اسئل الله

تعالى ان ينجح مقاصدكم وان يوفقنا واياكم لما يرضيه وان يجمعنا بكم

على بساط المسرة انه على كل شيء قدير وبالاجابة جدير ونعلمكم بأن

الاخ احمد قد وصل الينا وبرفقه العائلة النجدية وفي الحقيقه انه ليس المقصود

اجتماع العائلة في هذه البلاد النائية ولكن ماشاء الله كان وما لم يشأ لم

يكن هنيئا لكم وحرر هذا اليكم على عجل وان قدمتم الرياض فنرجو الافادة

بواسطة عبد الله بن جوهر ومني السلام على حضرة والدكم والعم وعبد الرحمن وعبد الله

ومن لدينا الاخ حمد والاولاد عبد الله ومحمد وعبد العزيز ومزيد ومحمد الس وكافة الاخوان

يسلمون عليكم والله يحفظكم ٥ ربيع الاول ١٣٦١

منكم محبكم

صورة من خطاب الأمير تر ي بن ماضي للمترجم له

***

٦- في عام ١٣٧٨ هـ، كتب سماحة الشيخ ابن حميد[١] (ت: ١٤٠٢هـ) هذه الرسالة الأخوية، التي بثّ فيها شيئاً من همومه الدينية، رحمة الله عليه، وهذا نصها:

من عبدالله بن محمد ابن حميد إلى حضرة الأخ المكرم، فضيلة الشيخ/ محمد بن صالح المقبل – حفظه الله وتولاه، آمين -:

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وصلَني كتابكم المفيد عن صحتكم ووصولِكم الوطنَ، والحمد لله رب العالمين، جعلنا الله وإياكم لنِعَمه شاكرين، ولم تُفَصِّلوا لنا في الكتاب عن شيء نحو المهمة[٢]، قدّر الله للجميع ما تُحمد عقباه.

صِحَّتنا وصحة الإخوان بخير وعافية، غيرَ أن الإسلام في غايةٍ من الغربة، ونهاية من ذلك؛ حيثُ بدَت تختفي معالمُه، وتنتقض عُراه، عُروة عروة، واشتغال غالب الخلق بالفاني عن الباقي، وإعراضهم عما خُلِقوا له[٣]:

بغير الدين لا نرجــو صلاحـاً ❊❊❊ بغيـر الديـن لا يحلـو البقـاءُ

إذا ما الديـــنُ ضيَّعـــه بنـوه ❊❊❊ على الدنيا على الدنيا العَفـاءُ[٤]

❊❊❊

---

(١) سبق الإشارة إلى أن أفضل وأجمع ترجمةٍ له رَحِمَهُ اللَّهُ هي الترجمة التي جمعها الشيخ/ سليمان بن محمد العثيم ـ أثابه الله ـ في ٤١٦ صفحة، بعنوان: "تاج القضاة في عصره سماحة الشيخ عبدالله بن محمد ابن حميد رَحِمَهُ اللَّهُ".

(٢) لم أتبين بالتحديد مراد الشيخ ابن حميد رَحِمَهُ اللَّهُ، بهذه المهمة، فالله أعلم.

(٣) من تتبع التراجم، فإنه سيجد أن هذا الشعور يتكرر منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم، كلما شعر المعاصر بنقص من أحوال الناس في دينهم عما أدركه في صباه، والله المستعان.

(٤) العَفاء: المراد هنا بالعفاء الدروس والهلاك وذهاب الكرام.

٧ - وهذا نموذج لمراسلة وقعت بين شيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ ، في موضوع خاص، وهذا نص مطلعها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عنيزة ٨/ ٤/ ١٣٨٣هـ :

من محبك محمد الصالح العثيمين إلى الشيخ المكرم الفاضل/ محمد الصالح المقبل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كتابكم الكريم المؤرخ في ٧ الجاري[١] وصل، سرنا صحتكم، الحمد لله على ذلك، ونحن ممنوين بمساعدة الابن[٢]؛ **وذلك لأنه أخ لنا، وابن لشيخنا،** .... حقق لنا ولكم ـ بمنه وفضل ـ ما فيه صلاح الدنيا والآخرة، إنه جواد كريم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

هذا ما لزم، وشرفونا بما يلزم، بلغوا سلامنا الأولاد والمشائخ والإخوان، كما منا الجميع بخير، والله يحفظكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) يلاحظ أنه ليس بين وصول الخطاب ورد الجواب ـ من شيخنا العثيمين ـ سوى يومٍ واحد.

(٢) أفادني العم صالح ـ حفظه الله ـ بأن الموضوع الذي يشير إليه شيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ لا يتعلق بأحد الأعمام ـ أبناء الجد رَحِمَهُ اللَّهُ ـ وإنما بشاب صغير كان يمرُّ بظروف صعبة، شفع فيه الجدُّ رَحِمَهُ اللَّهُ ليقبل في المعهد العلمي في عنيزة لكونه لم يحصل على شهادة الابتدائي، وإنما أنهى الفصل الدراسي الأول من السنة الابتدائية الأخيرة، ولم يكمل.

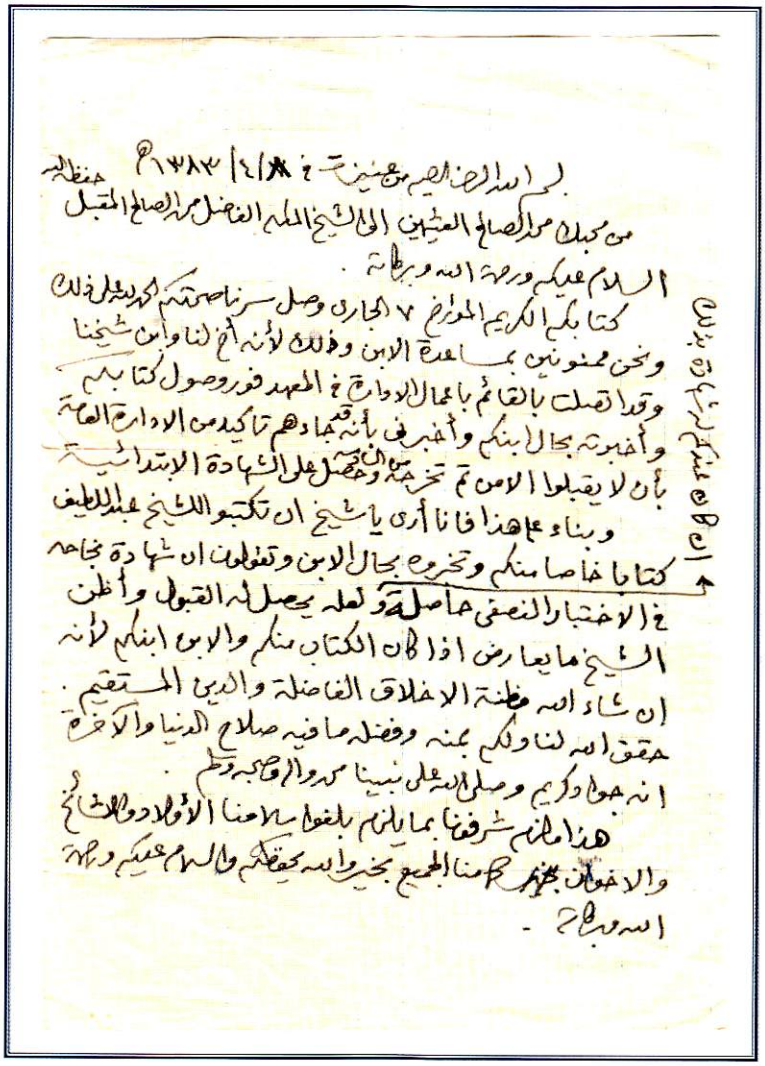

صورة من خطاب العلامة ابن عثيمين للمترجم له

***

٨- ومن المراسلات التي جرت بين الجد رحمه الله وبين شيخنا الشيخ عبدالله ابن عقيل هذه الرسالة:

«من محمد بن صالح المقبل وأولاده ٢٤/ ٤/ ٨٩ هـ[١]:

سلام ورحمة وبركة إلى أخينا وحبيبنا في الله الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز آل عقيل حفظه الله من المحن والآفات، واستعمله بالباقيات الصالحات، آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، على سوابغ نعمه الظاهرة والباطنة، وهو للحمد أهل، وهو على كل شيء قدير، وأرجو من الله جل وعلا أن يديم توفيقكم، وصحتكم، وعافيتكم، وأن تكونوا مسرورين بكل خير، موفقين، رافلين بأثواب الصحة والعافية.

ونبدي لحضرتكم أننا طلبنا العام من الشيخ[٢] جملة من نسخ التوحيد، ولا تيسرت، والآن نحن في حاجة ماسة لذلك، ونرجو من فضلكم المساعدة على توصيلها، كان الله في عونك في أمر دينك ودنياك.

وهذا كتاب للشيخ بعد اطلاعكم عليه، ما نعدم منك المساعدة ـ لا عدمنا وجودك ـ والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، كان

---

(١) وهذا الكتاب بعد تقاعد الوالد عن القضاء بنحو عشر سنوات، ومع هذا فلم تنقطع المراسلات بينه وبينه إخوانه من أهل العلم ـ رحم الله الجميع ـ.

(٢) لعله الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله .

الله في عونك، وإذا تيسر - إن شاء الله - تفيضونهن على الابن عبدالله[1] أو أخيه حسن[2].

هذا ما لزم، وإن بدا لازم؛ شرفونا بما يلزم، وسلامنا على حضرتكم، مع الأولاد والإخوان، كما منا الأولاد والإخوان بخير، ويبدون السلام، والله يحفظكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم الداعي لكم محمد بن صالح بن مقبل.

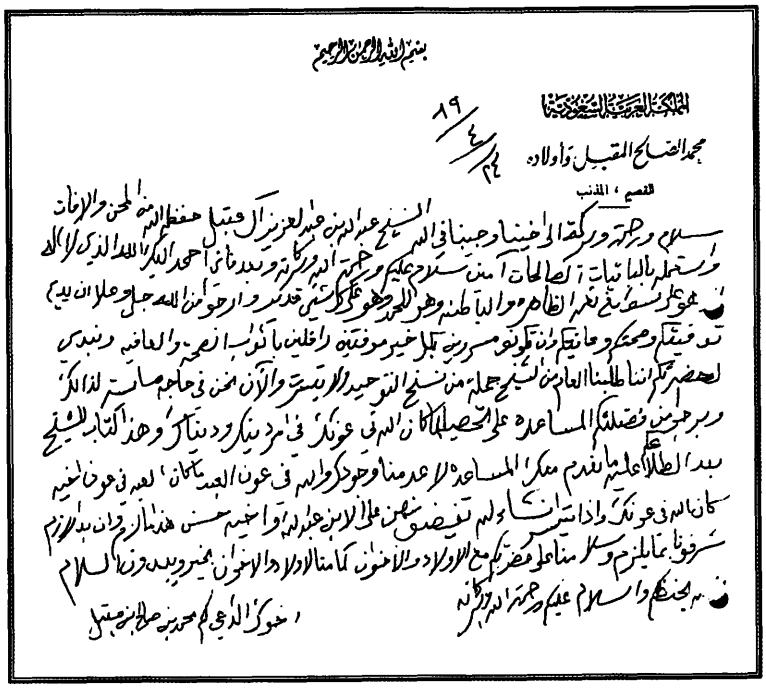

صورة من خطاب المترجم له إلى الشيخ ابن عقيل

***

(١) هو الوالد حفظه الله.

(٢) هو العم حسن حفظه الله.

وفـــــاتـــــه

رحمه الله

وفـاتــه رَحِمَهُ اللَّهُ

الموت حق، وسنة ماضية في الأحياء، ولو سلم من الموتِ أحدٌ لسلم منه الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] ولا يبقى إلا وجه الله جل جلاله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧].

لقد كان يوم الخميس ١٧/ محرم/ ١٤٠٢هـ هو آخر يوم من أيام حياة الجد رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه الحياة، مضى بعد أن عاش ستة وتسعين عاماً، حافلة بالبذل والعطاء، ونفع العام والخاص.

مات بعد أن بنى سيرةً طيبةً، وذكراً حسناً، وتلك من عاجل بشرى المؤمن، وترك خلفه ذرية، نسأل الله أن يجعلها مباركة طيبة.

ولقد وقع موته على أهله وأولاده ومحبيه وقعاً عظيماً، لم يقابلوه إلا بما أمر الله به المصابين: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ رجاء أن ينالهم ما وعد الله به الصابرين والمحتسبين في قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦، ١٥٧].

وفور بلوغ الخبر توافدت جموعٌ من مختلف مناطق القصيم؛ ليشاركوا في الصلاة عليه ودفنه، ولقد أبصرتُ بنفسي كثرة تلك الجموع، ونحن نسير بجثمانه من «جامع الضاحي» بالشورقية إلى «جامع ابن رخيص» في الديرة، ومن ثم إلى مقبرة الديرة، حيث ووري الثرى إلى جانب قبر والديه ـ رحمهما الله وجمعه بهما في الفردوس الأعلى ـ.

لا أنسى في أيام جلوس الأعمام للعزاء كثرة البرقيات التي ملأت مجلس الرجال، والتي جاءت من عدد كبير من المشايخ والأمراء وكبار المسؤولين في الدولة والمحبين، وقد اطلعتُ على بعضها في حينها، جزاهم الله خيراً.

ومن المعتاد في أمثال هذه المصائب أن تفيض قرائح الشعراء ببعض الأبيات المعبرة، وقد كانت كثيرة، إلا أنني لم أقف إلا على واحدة منها ، للشاعر الأستاذ عبدالعزيز بن عبدالرحمن اليحيى حفظه الله، حيث يقول فيها:

تألم القلب والهفاه وانكسرا
وأصبح الدمعُ في الخدَّين مُنهمِرا

أرِقْتُ والعينُ قد سالتْ مَدامِعُها
أنْ قيل شيخُك تحت التُّرْبِ قد قُبِرا

فالمِذْنَب اليوم يبكي فقدَ جَهبذه
وكان في ظِلِّه بالأمس مُفتَخِرا

شيخٌ غيورٌ لدين الله ذو ورَعٍ
وذو وقارٍ بهيٍّ يُعجِب النَّظَرا

حبرٌ نقيٌّ له في الخير منزلة
أضحى بها بين أهل العلم مشتهرا

والأمـــر بـالـعـرْف والإصـــلاحُ دَيـدنُـه
وكـــان مجـلِـسُـه بـالـعـلـم مُـــزدَهِـــرا

تلميذُ مَـن بـالهـدى زانـــت مجالسهم
وشرع ربهـــمُ في وقـتـهـم نُـــصِرا

مـــدارسٌ سـلَـفـتْ بـالخـير قـد عُـمِـرت
ومِـــن معاقلها دِيـــنُ الهـــدى انـتـشرا

أعـنـي مـــدارس آل الـشـيـخ قـدوتـنـا
طـابـت مـقـاصـدهـا فـآتـت الـثـمـرا

كـــذاك آل سَـلِـيْـم في الـقـصـيـم لهم
فـضـلٌ مِـــن الله في أرجـائـهـا ظـهـرا

كـم خـرّجـوا مـن إمـــام فـاضـل عَـلَـم
لـــه مـقـــام رفـيـــعٍ خِـلْـتـــه قـمـرا

الـكـل في الحـــق آثـــارٌ مـبـاركـةٌ
أحـيـا الإلـــهُ بهـا مـا كـــان مُـنْـدثـرا

قـد أعـرضـوا عـن هـوى الـدنـيـا وزُخْـرُفِـهـا
يُـتـاجـرون مـع المـــولى بهـا سـحـرا

في كـل حـينٍ رسـولُ المـوتِ يفجؤنا
بـمـوتِ حـبرٍ عـــالمٍ حـالـه كَـــبرُا

يـا قـلـب صـبراً عـلى تـقـديـر خالقنا
فـأمـره نـافـذٌ فـيـنـا كـمَـن غَـبرَا

أيـن الأحـبـةُ والأحـبـابُ بـعـدهـمُ؟
أمْـرُرْ عليهم تجـد مِـن فوقهم مـدرا

يـا أيهـا الحُـرُّ لا تـغـررْك صـفـوتُهـا
تُسقيك دنـيـاك مِـن بَعد الصفا كَـدَرا

سـتَـخـرَبُ الـدارُ والـسـكـانُ يتركها
وسـوف يـسـكـنُ بـعـد الـشـامخـات ثَـرا

يبني عـلى ظـهـرهـا الإنـسـانُ في أمـلٍ
وبـيـتُـه قـبـرُه في بـطـنـهـا حُـفِـرا

فـالمـوت بـابٌ وكـأسٌ سـوف نشربه
فـخـذ لـنـفـسـك مِـن أسـلافـنـا عِـبَرا

كـلٌ سـيـعـطـبُ لـو طـالـتْ سـلامـتُـه
كـلٌ سيفنى وإن أضـحـى بـهـا عَـمُـرا

قـضى الإلـه بـمـوتِ الخـلـق أجمعهم
فـالمـوتُ حـقٌ مِـن الـرحمـن قـد قُـدِرا

وبـعـد ذاك مـقـامٌ لـلـحـسـابِ غـداً
مـا حيلة المـرء عند الحـشر إذ نُـشِرا؟!

فـعـامـلُ الـشرِّ يُجـزى الـشرَّ أكمله
وعـامـلُ الخـير يَـلـقـى الخـيرَ مـدَّخَـرا

فـاعـمـلْ لـدارٍ يـكـون المـسـتـقـرُّ بها
فـعـن قـلـيـلٍ ستـأتـيـهـا فـكـن حَـذِرا

فـاحـذر مَـسَـاخـطَـه تـأمـن عـواقِـبَـهـا
ولـلأوامـرِ كـن يـا صـاحِ مـؤتمِـرا

يـا رب فـاجـبر مُـصـابَ المسلمين به
واجـعـل لـه مـنـزلاً في خـلـدهـا نـضِرا

فـفـي مـصـيـبـةِ خـيرِ الخـلـق مـوعـظـةٌ
لـنـا الـعـزاء بهـا إن كـنـتَ مُـعـتـبِرا

فـالله يجـبر مَـن يـرضى بـحِـكـمَـتـه
ويجـزِ بـالخـير والإحـسـان مَـن صـبرا

ثـم الـصـلاة عـلى مـن في نُـبُـوَّتِـه
سـعـادةُ الخـلـق إرغـامـاً لمـن كـفـرا

وآلـه والـصِّـحَـابِ الـتـابـعـينَ له
بـكـلِّ مـا قـد رأيـنـا الـشـمـسَ والقمرا

***

تمت

الفهرس

الموضوع	الصفحة
* قالو عن الشيخ	٥
* تقديم الشيخ مقبل بن محمد المقبل	٧
* المقدمة	١١
* لمحة موجزة عن الحالة السياسية والاجتماعية التي ولد فيها المترجم له	٢١
الأحوال السياسية	٢٢
الأحوال الاجتماعية	٢٤
* اسمه، ونسبه، ولادته، نشأته	٢٥
اسمه ونسبه	٢٦
ولادته	٢٦
نشأته	٢٧
طلبه للعلم	٢٨
شغفه بالقراءة وسماع العلم ونشره	٣٧
* شيوخه وزملاؤه وتلاميذه	٤٣
شيوخه	٤٤
زملاؤه	٤٨
تلاميذه	٥٥
* صفاته الخَلْقية والخُلُقية	٥٩
صفاته الخَلْقية	٦٠

الموضوع	الصفحة
صفاته الخُلُقية	٦٠
من المواقف التي تدل على هيبته	٦١
* عبادته	٦٥
شغفه بقيام الليل في الحضر والسفر	٦٦
حرصه على العمرة - وخصوصاً في رمضان - وصيام ما تيسر من الأيام في مكة شرفها الله	٧٠
حرصه على الصدقة ، والعناية بالفقراء والمساكين	٧٠
تعلقه بالقرآن	٧١
* زهده وورعه	٧٣
زهده	٧٤
ورعه	٧٦
* تربيته لأولاده	٧٧
* مواقف طريفة في حياته	٨٣
* مسيرة العمل الوظيفي	٨٧
توليه للقضاء	٨٨
توليه لقضاء عقلة ابن جبرين	٩٣
إحالته على التقاعد	٩٦
* مجلس قضائه ومنهجه في القضاء	٩٩
منهجه في القضاء	١٠١

الموضوع	الصفحة
* رحلته إلى جنوب المملكة	١٠٣
القنفذة	١٠٤
نجران مرورا بأبها	١٠٥
ملخص قصة السرقة التي حصلت لمنزل الجد	١٠٧
* برنامجه اليومي	١١٣
* نشاطه في التعليم والدعوة والاحتساب	١١٧
نشاطه في التعليم	١١٨
نشاطه في الدعوة	١٢٢
نشاطه في الاحتساب (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)	١٢٩
مواقف للجَد في باب احتسابه :	١٢٩
* المراسلات الرسمية والأخوية للشيخ	١٣٣
المراسلات الرسمية	١٣٤
المراسلات الأخوية	١٤٣
* وفاته رحمه الله	١٦٥